

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ط1: 1635098428

رقم التسجيل: ط2: 1635098536

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: لسانيات عامة

بغنوان :

بلاغة الحجاج في القرآن الكريم

سورة يوسف أنموذجا

إعداد الطالب (ة):

▪ طويل آسيا

▪ بركاتي هناء

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ:	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. عزوز ختيم	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيسا
د. مفتاح خلوف	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
أ. محمد زعيتري	أستاذ مساعد أ	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية 2020 - 2021 م / 1441 - 1442 هـ

شكر

الشكر والحمد الأوّل لله الذي يعطي فلا يبخل ويمنح دون أن يسأل إلى رب الكون والقائل في محكم التنزيل « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » . الآية 7 سورة إبراهيم .

ما أجمل أن يعترف الإنسان بجميل خيره

وما أجمل أن نقول كلمة شكراً

نتقدم بخالص الشكر والامتنان وعميق الاحترام إلى أستاذنا المشرف « مفتاح خلوف »

الذي لم يبخل علينا بوقته ونصائحه القيمة في توجيهنا ، وصبره علينا طيلة مدة إنجاز

المذكرة ، فوجهنا حين الخطأ وشجعنا على الصواب .

وإلى كل من قدّم لنا يد العون والمساعدة لإكمال هذه المذكرة .

فلكم منا فائق الاحترام والتقدير

مقدمة

مقدمة:

إن القرآن الكريم خطاب موجه للبشرية وليس مقصورا على أفراد أو جماعات دون أخرى وليس محددًا بزمان أو مكان معين وقد اتسعت رقعة الدراسات التي تناولت القرآن الكريم وتعددت مواضيعها ومناهجها بحثًا عن أسرارهِ وعجائبهِ وتتبعاً لروعته وفصاحته ووقوفاً على اعجازه وبلاغته فنزل ليسطر للفرد نظام العلاقات " بخالقه وبنفسه ومع غيره من البشر والكائنات " فشرع الأحكام ووضع المقاصد وبين طرائق المعاملات واعتبر استخدام العقل والفكر السليم مبدأً أساسياً وضرورياً في الإيمان الصحيح والمتأمل في القرآن الكريم يجده خطاب حجاج موجه للتأثير في آراء المخاطبين غايته استمالة العقول وتوجيه النفوس وتقويم السلوك وبذلك فقد سخر العديد من الآليات والأساليب الحجاجية التي تحقق هذه الغاية وتكفل له التأثير والاستمالة.

ويعتبر القرآن الكريم أقوى حجة على وجه الأرض وبعد حجة كاملة تحتوي على براهين ودلائل مقدسة.

فما هو الحجاج؟ وماهي ملامح النظرية الحجاجية في الثقافة العربية؟ وماهي أهم تقنيات الحجاج الموظفة في سورة يوسف؟

وبهذا فإن عنوان بحثنا هو: بلاغة الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف نموذجاً.

ومن الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الحجاج نذكر:

- حسن بولوطه، مذكرة ماجستير في الامتناع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، جامعة باتنة 2009 - 2010.
- خديشة بوخشة، حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، أطروحة في اللسانيات التداولية، جامعة وهران 2013 - 2014.
- ودوافع اختيارنا لهذا الموضوع فكان للأسباب التالية:
- 1- أهمية موضوع الحجاج كونه موظف في جميع أنواع الخطاب.
- 2- التعرف على الآليات الحجاجية الموظفة في القرآن الكريم.

- 3- تعتبر سورة يوسف القصة الوحيدة التي وردة كاملة ولم يتكرر ذكرها في القرآن الكريم.
- 4- جاءت السورة بأسلوب لغوي مميز وتكشف ما تعرض له يوسف عليه السلام من أنواع البلايا والمحن.

• وتتجلى أهمية هذا الموضوع وأهدافه في:

- 1- أهمية الحجاج وذلك بوصفه خطابا يستحضر كل امكانات اللغة وتقنياتها ويستهدف بذلك استمالة عقل المتلقي والتأثير في سلوكه وآرائه وذلك جعله يتصدر وسائل الاقناع.
- 2- ضرورة توجه الدراسات اللغوية والبلاغية صوب النص القرآني وذلك باعتباره الأنموذج الأرقى على الصعيد اللغوي والفكري.
- 3- البحث عن تقنيات الحجاج البلاغية واللغوية في النص القرآني خاصة في جانب القصص القرآني.

وقد اتبعنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج الوصفي لأنه المنهج المناسب لهذا النوع من البحوث من خلال وصف الظواهر الحجاجية الموجودة في القصص القرآنية واستعنا بالمنهج التاريخي وذلك لرصد تاريخ الحجاج وبروز معالمه ونشأة النظريات الدراسة له وكذلك المنهج التحليلي.

• واعتمدنا في بحثنا على خطة بحث مكونة من:

- مقدمة.
- مدخل للفصل الأول.
- الفصل الأول فصل نظري وجاء بعنوان: الحجاج دراسة نظرية تناولنا فيه مفهوم الحجاج والحجاج قديما وحديثا والحجاج في الثقافة العربية، وأنواعه ومسلماته...
- مدخل للفصل الثاني.
- الفصل الثاني فصل تطبيقي وجاء بعنوان تقنيات الحجاج في سورة يوسف، قمنا بتعريف سورة يوسف ودرسنا التقنيات الحجاجية الموجودة في السورة بأنواعها البلاغية واللغوية.

وانتهى بحثنا بخاتمة فيها مجموعة من النتائج المتوصل إليها من خلال دراسة الحجاج. ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي تشعب موضوع الحجاج واتساعه. ومن المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها نذكر: القرآن الكريم وكتب التفسير مثل: صفوة التفسير للصابوني ومن الكتب كتاب الصناعتين لأبو هلال العسكري واستراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري والتداولية والحجاج لصابر الحباشة. وفي الأخير كل الشكر والتقدير للأستاذ المشرف على هذا البحث الدكتور مفتاح خلوف الذي دعمنا بإرشاداته وتوجيهاته.

الفصل الأول

الحجاج دراسة نظرية

تمهيد

يعتبر الحجاج من أهم المواضيع التي أنتجت الدراسات اللغوية في المجال اللساني باعتباره مجموعة من التقنيات والآليات الخطابية التي يتوجه بها المتكلم إلى الملتقي بهدف إقناعه والتأثير فيه فتتغير وجهة نظره من موقف إلى موقف آخر يدعم به أفكاره بما سمعه وتلقاه من حجج.

وقد تعددت زوايا النظر للحجاج بحسب زاوية نظر الدارسين له فكان للبلاغة الدور الكبير في ابراز دوره وأهميته في التخاطب وذلك لأنها تركز على جانبين اثنين في الخطاب وهما:

1. البيان

2. الحجاج لإقناع المستمع.

فتعددت بذلك خصائصه وأنواعه وتقنياته.

1- المفهوم اللغوي لمصطلح البلاغة:

وفي هذا سيفيد ابن فارس " أن الباء ،اللام ، والعين أصل واحد صحيح وهو الوصول إلى الشيء ، تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه".

* وفي الجوهري : بلغت المكان، إذا وصلت إليه.

* الصحاح : بلغت المكان بلوغاً، وصلت إليه.

* اللسان : بلغ الشيء بلوغاً ، وصل وانتهى.

* القاموس : بلغت المكان بلوغاً، وصلت إليه.

* أساس البلاغة: "بلغ الرجل بلغة فهو بليغ أو تبالغ في كلامه، تعاطى البلاغة¹ وليس من أهلها".

نلاحظ أن كل هذه المعاجم مجمعة على ربط عناصر المادة الثلاثية للبلاغة بالوصول إلى ذات أي: "الإيصال" و"الإبلاغ".

¹ - ينظر: الهجرة، التهذيب، الصحاح ، اللسان، الأساس، مادة بلغ.

ويشير أبو هلال العسكري إلى المعنى اللغوي لبلاغته بقوله: " لبلاغة من قولهم ¹ بلغت الغاية، إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري، ومبلغ الشيء منتهاه والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنتهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه".
كثيرة ، فالخطاب ، ولإرسال ، ولا شعر ، إلا وتتجلى فيه لمسات بلاغية ، تساهم في استمالة القارئ منذ الوهلة الأولى التي يتناول فيها ذلك الموضوع .
أما: أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين": ضاع مفهوما خاص للبلاغة حيث قال: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك ² مع صورة مقبولة ومعرض حسن ."

كما أورد أبو هلال العسكري أيضا عن العربي أنه قال:
" البلاغة التقرب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام، وقرب المأخذ وإيجاز ³ ، في صواب، وقصد إلى الحجة، وحسن الاستعارة ."

وبهذا نجد كل التعريفين يحملان مفهوماً واحداً للبلاغة وهذا هو الوضوح والكشف عن المعنى ولو تأملنا أيضا لوجد أنه يشير إلى طرفي التواصل "السامع والمتكلم" حيث يركز على المتكلم ويؤكد ضرورة امتلاكه القدرة على التأثير على السامع وتتجلى تلك القدرة على التأثير في استخدامه لوسائل تعبيرية وبلاغية محددة تساهم في نقل الرسالة اللغوية الانفعالية في نفس المتكلم إلى نفس السامع للتأثير فيه.

أي أن البلاغة عملية تواصلية بين متكلم يسعى إلى إيصال رسالة لغوية عبر قناة ⁴ اتصال معينة إلى سامع معين في مقام معين.

1 - أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، مفيد قمحة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ط2 1989 ص 15.

2 - المرجع نفسه ص 10.

3 - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 47.

4 - المرجع نفسه ص 47.

وفي هذا التعريف يربط "العسكري" بين المعنى اللغوي للبلاغة وهو الإيصال والابلاغ وبين أن وظيفة وغاية البلاغة هي " إيصال المعنى " أو " نجاح المتكلم في إيصال المعنى إلى قلب السامع ".

2-المفهوم الاصطلاحي لمصطلح البلاغة:

نجد **الجاحظ** في كتابه " البيان والتبيين " قد أعطى مفاهيم للبلاغة فقد ذكر أنه قال بعض أهل الهند: " البلاغة، البصير بالحجة ،والمعرفة بمواضيع الفرصة، أن نذع الافصاح به إلى الكناية منها وإذا كان الافصاح أوعر طريقة وربما كان ¹ الاضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحق بالظفر " إلى جانب هذا المفهوم الذي يعطي للبلاغة وظيفة " اقناعية " نجد **الجاحظ** قد قال أيضا إلى صديقه، سأل العتابي ما البلاغة فأجابه : "كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ فان اروت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة ² الحق ".

فالبلاغة عند **العتابي** تظهر الحق الذي كان غامضاً وتخرج الباطل في صورة الحق ونصل إلى هذا كله بفعل الغاية الإفهامية والإقناعية للبلاغة العربية كذلك لما أورده **الجاحظ** عن ابن المقفع أنه قال: " البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما ³ يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاجابة ومنها ما يكون رسائل ". فنظراً للأهمية الكبيرة التي تحملها البلاغة فإنها تكتسح ميادين أدبية.

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ،داخل الخيل ، بيروت د ت، ص 88.

² - المرجع نفسه ص 113.

³ - المرجع نفسه ص 116.

3-تعريف الحجاج:

3-1-لغة:

لقد وردت مادة حَجَجَ في المعاجم العربية بعدة معاني منها ما جاء في كتابة "مقاييس اللغة" لابن فارس (ت: 395هـ): « يُقال حَاجَبْتُ فُلَانًا فَحَجَبْتُهُ أَي غَلَبْتُهُ بِالْحُجَّةِ وَذَلِكَ الظَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الْخُصُومِ وَالْجَمْعُ حَجَجٌ وَالْمَصْدَرُ حِجَاجٌ »¹.

وفي لسان العرب "لابن منظور" (ت: 711هـ) حيث قال: (حَاجَبْتُهُ أَحَاجُهُ حِجَاجًا وَمُحَاجَةً حَتَّى حَجَبْتُهُ أَي غَلَبْتُهُ بِالْحُجَجِ الَّتِي أَذْلَيْتُ بِهَا ، وَالْحُجَّةُ: الْبُرْهَانُ... وَقِيلَ: الْحُجَّةُ مَا دُفِعَ بِهِ الْخَصْمُ وَهُوَ رَجُلٌ مُحَجَّاجٌ أَي جَدِلٌ ... وَالْحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ، يُقَالُ: حَاجَبْتُهُ فَأَنَا مُحَاجٌّ وَحَجِيحٌ... أَي أَغْلِبُهُ بِالْحُجَّةِ)².

أما في تاج العروس ل " الزبيدي " (ت: 1205هـ): ((الْحُجُّ) الْعَلَبَةُ بِالْحُجَّةِ يُقَالُ: حَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا إِذَا غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ ... وَالْحُجُّ كَثْرَةُ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّرَدُّدِ))³.

من خلال هذه التعريفات القاسومية للفظ (الحجاج) يظهر جليا أن هذه اللفظة قد استخدمت في إطار الاستعمالات المتداولة في التواصل اللغوي والتخاطب عند العرب ، حيث أنها حملت دلالة المخاصمة والجدل والغلبة بالحجة والبرهان فهذه الدلالات استعملت في سياق تواصلِي يحمل في ثناياه التأثير في الغير والغلبة.

¹ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص 30.

² - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط 3، 1414 هـ، 1993 م، ج2، ص 228.

³ - الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس تح: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، د ط 1969 م، ج 5، ص 460.

3-2-اصطلاحًا قديما:

3-2-1-الحجاج في القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم خطابا. وكونه خطابا معناه أن هناك إقناعا وتأثيرا. فالقرآن جاء مخاطبا للناس أجمعين مهما كانت معتقدا تهم فهو هداية وإصلاح وغايته تغير أوضاع قائمة بواسطة نصوص مدعمة بالأدلة والحجج وهذه الأخيرة اختلف العلماء في تعيين عددها الصحيح في القرآن الكريم فمنهم من جعلها سبعة وعشرون موضعاً ومنهم من حصرها في عشرين موضعاً فقط وقد وردت كلمة الحجاج في القرآن الكريم بصيغ ثلاث أحيانا تكون فعلا ماضيا نحو: (حاج، حاجتكم، حاجة،...) ومن ذلك قوله تعالى: « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » سورة البقرة الآية 258.

قال تعالى: « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » الآية 61 من سورة آل عمران.

قال تعالى:

«فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » الآية 20 من سورة آل عمران.

قال تعالى: « هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » الآية 66 من سورة آل عمران.

قال تعالى: « وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ » الآية 80 من سورة الأنعام.

وأحيانا اسماً نحو: (الحجة، حجتكم، حاجتكم...) ومنه قوله تعالى: « وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » سورة البقرة الآية 150، يظهر من هذا كله أن القرآن الكريم نص حجاجي يهدف إلى إقناع الآخر مهما كانت صفته بتغيير حاله لوضع حسن بحجج دامغة.

3-2-2- عند البلاغيين:

لقد انحصر الحجاج في البلاغة العربية القديمة على نوعين خطابيين وهما **الجدل** و**المناظرة** وهذا ما سوف نلاحظه عند البلاغيين العرب.

فالجاحظ في كتابه البيان والتبيين تحدث عن الحجاج في فصله الأول الذي تناول فيه البلاغة إذا يقول: (أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وكذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح، قليل الحظ متخير اللفظ ، لا سيد الأمر بكلام السوقة ...)¹.

فالملاحظ على تعريف الجاحظ للبلاغة اهتمامه بالخطاب الإقناعي، الشفوي وقد اشترط أن يكون الخطيب بليغاً في كلامه وهذا الأخير لابد أن يكون مخيراً محاوراً لكل فئات المجتمع كل حسب ثقافته ومكانته .

كما نجد ملامح الحجاج لديه في بعض مناضراته مع الذين رفضوا البيان فرد عليهم قائلاً: (ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكم وكتب فلسفة وكتب مقاييس وسنن وتبين وتبيين ... لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة وعلى طريقي تعظيم الملة...)².

وقد اهتم الجاحظ بالعناصر الحجاجية وأوردها في كتبه:

1- مقتضيات المقام وما تشمله من أحوال الخطيب.

¹ - ابو عثمان عمرو بن الجاحظ البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 2، 2005، مج 1، ص 71.

² - الجاحظ، الحيوان، ج 1 ص 56.

2- الخطيب وكفاءته اللغوية وهيئته وصفاته الخلقية وما يحس عليه وما يقبح أما أبو هلال العسكري فقد تناول الحجاج بمنظور أدبي حيث ربط بينه وبين الشعر فالشعر بالنسبة إليه حجة لأن الشاعر يكتب كلامًا خاصًا به يحس به دون غيره. لذلك هو يريد أن يوص ما يحس به وما يعتقده الآخر بإقامة الحجة حيث يقول: " وهو الذي يملك ما تعطف به القلوب النافرة ويؤنس القلوب المستوحشة وتلين به العريكة الأدبية المستعصية ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجة " ¹ . نفهم من ذلك أن الشعر به الحجج وتبلغ به الحاجة.

3-3- اصطلاحاً حديثاً:

تعد المعاجم العربية الوعاء الذي يحوي اللغة من الاندثار والمنطلق الأول في تحديد المفاهيم وضبطها ثم تأت مرحلة التحديد الاصطلاحي التي لا أحد ينكر أهميتها داخل أي مجال معرفي فلا يمكننا أن نستوعب قيمة الأشياء التي نتحدث عنها قبل أن نحدد مفهومها لذا كان لا بد علينا أن نرسم حدوداً للمجال المصطلحي الخاص بمصطلح الحجاج.

- يعرف طه عبد الرحمان الحجاج بأنه: "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها " ² .

أي أن الحجاج يقوم بين طرفين مرسل ومستقبل يقوم أحدهما بإبلاغ الآخر شيئاً ما مع تعزيزه بحجة بغية إفهامه فيحقق للأخر تبنيها أو دحضها.

- كما يعرفه كل من حافظ اسماعيلي علوي ومحمد أسيداه بأنه : " عملية لسانية اتصالية الغاية منها الإقناع الذي يعتمد على وسائل منطقية ولغوية خاصة في غاية الوضوح " ³

¹ - ابو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية ، بيروت، ط1، 2006، ص49.

² - طه عبد الرحمان، اللبان والميزان والتكوير العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، تامغرب ص 226.

³ - حافظ اسماعيلي علوي ومحمد وأسيداه، اللسانيات والحجاج الحجاج المغالط، نحو مقارنة لسانية وظيفية ضمن (الحجاج مفهومه ومجالاته) ج 3، ص 270.

فالحجاج قائم على مبدأ التواصل الذي لا بد أن يقوم على أسس منطقية واضحة لنصل بذلك إلى الغاية المنشودة وهي الإقناع عند كل من حافظ اسماعيلي علوي ومحمد أسيداه. أما في التقاليد الغربية الحديثة فقد حظي الحجاج باهتمام الكثير من الباحثين أمثال (بيرلمان) في كتابه المشترك مع (تيتيكا) " مصنف في الحجاج " حيث عرف الحجاج انطلاقاً من موضوعه الذي

هو : " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم " ¹ .

والهدف من الحجاج عند بيرلمان هو : " دراسة التقنيات الهادفة إلى إثارة الذهان وإدماجها في الأطروحة المقدمة وتفحص أيضاً شروط انطلاق الحجاج أو نموه وما ينتج عنه من آثار " ² .

4-خصائص النص الحجاجي (سمات):

يتميز النص الحجاجي عن غيره من النصوص بعدة خصائص ومميزات هي:

– **القصد المعلن:**

وهو إحداث أثر في المتلقي أو إقناعه بفكرة معينة.

– **التناغم:**

وهو أن يكزن المنطق الحجاجي مبني على أسس متسلسلة ومنظمة وهو ما يؤكد "باتريك

شارودو" بقوله: " بانتظام المنطق الحجاجي حيث يقوم النص على منطق معين في كل

المراحل التي يمر بها ويوظف على نحو دقيق من التسلسل والأحكام " ³ .

¹ – عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا، ص 292.

² – محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، الطبعة ، 2005، ص 44.

³ – باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر، أحمد الوررني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،، ط1، 2009، ص36.

– الاستدلال:

وهو السياق العقلي الذي يسير وفقه الخطاب الحجاجي لأن النص الحجاجي في أبسط صوره في ترتيب عقلي للعناصر اللغوية المكونة له ترتيباً يستجيب لنية الإقناع.

– البرهنة:

وهي مكن الحجاج والأدلة " وتعتبر أسلوباً من أساليب المنطق الحجاجي تتيح تنظيمه وفق ما يسمى بالعقل الاستدلالي " 1 .

5-أنواع الحجاج والحجة:

إذا كان الحجاج هو امتداد البلاغة القديمة المتميز بأنواعها وثرأ أساليبها فإن هذا الأخير الحجاج كذلك له أنواع متعددة وهذا ما يبينه اللسانيون في كتبهم فقد فسرو وصنفوا أنواع الحجاج وعناصر الحجة بأصناف وصيغ مختلفة نكر منها ما يلي:

5-1-أنواع الحجاج:

من خلال تصنيف اللغويين لأنواع الحجاج الرئيسية هي نجد ما يلي:
الحجاج المنطقي واللغوي، والمحدثي، وأصناف علماء آخرون حجاجاً رابعاً وهو الحجاج القانوني.

وقد جمع العالم " جون بلير غرايز " بين المنطق والحجاج وحدهما شيء واحد، أما الأستاذ " روبرماتان " فيدمج مفهومه الحجاج مع ما بلوره في نظرية الموسومة ب "عوامل الخطاب" 2 .
أنه الحجاج منطق مخصوص باللغة كما أن العالم "غرايز" أثبت ذلك وحاول إنشاء منطق طبيعي خاص بالخطاب ووضع مقارنات واختلافات تكوينية بين اللغة والمنطق الرياضي خاصة وتهدف نظرية غرايز على نمذجة الاستراتيجيات الحجاجية والعمليات الخطابية المنطقية التي يحقق بها المخاطب أفعاله الكلامية.

1 - باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر، أحمد الوررنى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،، ط1، 2009، ص36.

2 - صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، دمشق، سوريا، ت ط، 2008م، ص16.

نستكشف مما سبق أن كل من العالمين (غرايز وروبارمارتن)، قد ربطا الفعل الحجاجي بالمنطق وبالخطاب اللغوي وسطرا نظريات في هذا الباب.

ونلاحظ أيضا وجود تداخل بين التداولية والحجاج هذا ما أدى إلى نشوء نظريات عدة في باب الحجاج وقد قسمت كل النظريات الحجاج إلى ثلاث أنواع أو أربعة عند بعض الدارسين منها:

5-1-1- الحجاج المنطقي: هو أول وأسبق أنواع الحاج ظهورا ويعتمد في هذا الجانب على منطق خاص باللغات الطبيعية وينقسم إلى نظريتين:

أ- اللسانيات النفسية المعرفية: بحثها خاص بتحليل الخطاب والمحادثة قصد التواصل على منطق التفكير في اللغة الطبيعية، هذا طرحه "جورج فنينيو وفريد يرك ناف وآخرون" لمفهوم التضمن الذي عدوه سمة قارة في تلك الأبحاث ويعني العالم غرايسس بهذا إجراء حساب المفهوم الذي يضعه المحاطب انطلاقا من كلام المتكلم ومن منظور المحادثة أو الحوار الذي يماثل قواعد المحادثة الذي تعارف عليها المتكلمون في إطار ثقافي واحد والحادثة كما أشار إليها " صابر الحباشة" في كتابه تقوم بدور المقدمة الصغرى في "القياس"

ومثال ذلك : أ (قال ل : س : وبطبيعة الحال أن كل تلفظ يطابق حكم المحادثة فالتأويل للملفوظات يمكن التعبير عنه بشكل استنتاجي قياسي.

وهنا تكمن الخاصية الأضمارية للقياس التي تفسر بحال ضمني أو المقتضي في القضية الجديدة من حكم المحادثة والتضمن بحكمه استدلال أو مثالا عنه يستطيع إعطاء "حجة منطقية" أرسطية نوعية جديدة وفريدة¹.

نستنتج من خلال ما سبق أن عملية أفعال الكلام تعتمد على المنطق والمحادثة التي تشبه أو تحاكي طريقة الحوار المعتمدة وإنما في هذه العملية نراعي مقتضى الحال والمحادثة

¹ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج ص17.

التي اصطلح وتواضع عليها أفراد الجماعة اللغوية عن طريق المنطق والاستنتاج والانتقال من مقدمات صغرى وصولاً إلى نتائج وقضايا جديدة نفرضها أحكام المحادثة.

ب- علم الدلالة المنطقي: من أنصار هذا الاتجاه "روبارمارتان" الذي قام بإجراء تجربة عبارة عن تكيفات منطقية للحوارات اللغوية بدءاً من إعادة تشكيل الحقيقة في العلاقات بين الجمل وعلم الدلالة المنطقي عنده - روبرمارتان - هو عبارة عن محاولة وصف لسانية محتمة في العملية اللسانية أي أنها ممكنة الوقوع وأن صناعة المعنى وتأويله في اللغات الطبيعية يقومون على علم الدلالة "الضبابي" أي المبهم والتغير دقيق.

وقد ابتكر "مارتان" شيئاً أو فكرة أخرى سماها "عالم الاعتقاد" وهو مجموعة قضايا يعتبرها المتكلم صحيحة لحظة تكلمه وكذا الحال بالنسبة إلى القضايا الخاطئة أو التي يبحث عنها (مدى صدقها كما هي) ¹.

وبصورة أدق أن المخاطب يستطيع رسم عالم خاص مضاد للواقع غير متجانس مع العالم الذي يعيشه وهذا من لاهتمام النظريات والتطبيقات الحجاجية في الخطاب وأن علم الدلالة المنطقي قد فهم واستوعب الموضوع الأرسطي.

نستنتج من النظريتين أن المحادثة تقوم على عنصر الحوار ولا بد من توفر شيئين أثنتين المخاطب والمخاطب وما اصطلح عليه من أفكار وملفوظات لغوية تكمن حسب مارتان في التجربة اللسانية أي هي عبارة عن محاولة لغوية نستطيع تغيير قواعدها وتأويلها لأن نتائجها محتملة الوقوع منطقياً وهذا استناد إلى ما توصل إليه الفكر الأرسطي ونظرية القياس.

5-1-2- الحجاج اللغوي:

هذا البحث من اهتمامات "أوزفالد وديكرو" عن حالة الحجاج في اللغة بخلاف الحجاج المنطقي الذي يقول على أن البني الحجاجي ليست ذات طبيعة منطقية لكنها لغوية محضة أي: صميم الدرس اللغوي واللغة في ذاتها تحتوي على معلومات تتعلق بالحجاج هي التي

¹ - المرجع نفسه ص 170.

تحدد في ما بعد حلقات الخطاب وتسلسله¹. فالملفوظات خاصة بجانب حجاجي لها الحق في الدخول أو الانطواء تحت المجال اللغوي وأعمال أوزفالد وديكرو وجون كلود وأنسكير تتميز عن النظريات التداولية الأخرى بمصادرة مخصوصة كما اعتبروا أن الملفوظات الحجاجية على حد تعبير صابر الحباشة ليست مضافة على الملفوظات ولكنها مسجلة في اللغة بوصفها أساسا لكل دلالة².

فالحجاج اللغوي في نظر هؤلاء ليس فعل أو نشاط لسانيا من بين النشاطات الأخرى وإنما هو المعنى الأساس الذي يدخل في تأويل الخطاب وهذه النظريات تهدف إلى مدى مفهوم الحجاج لعوامل لغوية حجاجية وعلى مجموعة من الجمل قصد إحصاء التسلسلات المحتملة ويقر "أوزفالد وديكرو" على وجود مواضيع في كل لسان من صنف: "كلما كان س كان ص" أو "كلما لم يكن س لم يكن ص".

الذي يقيد الاستعمال الحجاجي للغة وكلما كان لم يكن هي مصنفات استعمالها لدى أرسطو وأعطانا مثلا من كتابه: "عن القياس ومقومات الموضع والعمومية والكونية... إلخ". بحيث يقول: "أقصد بالموضع" بمعنى (...) مبدأ حجاجي ... وجماعة لسانية بمعنى كوني من المفترض تقول بكذا متعارف عليه.

وهي جماعة ينتمي إليها على الأقل والمتكلم هو "المصدر" أي عنصر الفعل الكلامي ومن يتجه إليه هو الهدف (...) في حالة الملفوظ مثل: الطقس الحار فلنذهب للسباحة قد لا نتعلل بالحرارة لنطلب الذهاب إلى السباحة فالحجة هي التعلل قد تقول لا نذهب إلى السباحة بحجة أو لأن الحرارة غير مرتفعة فلو نفترض أننا نكلم شخصا ثم يقوم هو بتعميم القاعدة فتصبح متداولة وفي هذه الحالة تعمم الفكرة أن الحرارة تجعل السباحة إما ممتعة أو ممنوعة

¹ - حسن بو بلوطة، مذكرة ماجستير الحجاج في الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي، جامعة باتنة، 2009، 2010م، ص51.

² - صابر الحباشة، التداولية والحجاج ص18.

وإلا فإن الحجة تسقط يعني من خلال هذا المثال أن البرهنة على بناء الإشكاليات دون أن ننفي الاختلافات وتجاوز الافتراضيات المعجمية.

5-1-3- الحجاج القانوني:

اتجهت نظرة "بيرلمان" من المحجاجة اللغوية إلى المحجاجة القانونية ومحاجة الخصم قصد إقناعه وهذا ما أشار إليه في كتابه الرسوم: "المنطق القانوني، بلاغة جديدة". وأشار إلى أرسطو الذي عرض في كتابه: "النقائض السفسطائية" المتخصصة في وسائل الإقناع والمناظرة إلى وضع فرضيات للخصم

(المدعي) بالدفاع ودمج الحجة وأقواله واستعان بما عرفته البلاغة من تطور على يد من "شيشرون وكانتيليان" لصور الأسلوب¹.

وهذا ما جعل من أرسطو يمنح صيغتها التداولية قديما - اي الحجة- وفي القرن "الثامن عشر" عرف الحجاج استقرارا في المجال القانوني بصيغة الموضوعات القانونية ... او الأمكنة الخاصة بالقانون ووضع "شيشرون وكانتيليان" تعريفا لهذا هو " دراسة التقنيات الموجهة لتحريض المستمع أو زيادة في موافقة التقسيمات أو الفرضيات المعروضة على رضاه (المستمع) أو القارئ².

إن مجال الحجاج القانوني هو دراسة التقنيات الخطابية المتمثلة في قيام الفرد للدفاع عن آرائه وحقوقه كما أشار العالم "رانسي" سنة 1997م.

فكان الحجاج هو الرابط في التفاعل بين المدعي والمعترض أو غيرهما وقد حدد " طه عبد الرحمان " الحجاج القانوني بما يلي: " هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهام دعوى مخصومة يحق له الاعتراض عليه".

¹ - ينظر: الطاهر حجاز وعبد القادر هني وآخرون، مجلة اللغة والادب، جامعة الجزائر، العدد 17، 2006، ص 17.

² - صابر الحباشة، التداولية والحجاج ص 271.

وقال أن الحجاج القانوني هو: فاعلية تداولية خطابية نظرا إلى خصائصه الفكرية والمقامية: "مقامي اجتماعي" ¹.

وللحجاج القانوني أنواع حجج كثيرة منها:

الحجة المضادة، الحجة المتكاملة، الحجة المنسجمة، الحجة النظامية.

ولا ندخل في تفاصيل شرحها لأننا بصدد دراسة الحجاج اللغوي والحجة عموما "علامة تعد بالنسبة لمؤوليها علامة قانون" حسب ما قاله تشارل بيرس ².

5-1-4- الحجاج المحادثي:

يتعلق هذا العنصر بالتبادلات للحظات اللغوي وهذا المنظور المحادثي قد شرحه باحثون في الجامعة "حنيف" أمثال: " جاك موشلر" وأعمالهم تتوجه إلى الازدواجية.

1- دراسة بنيوية للمحادثة ولوحداتها الصغرى (حديث، تدخل):

بالنظر إلى غاياتها الحجاجية وهذه المقاربة تمنح التحاليل الذي فائدته كبيرة وموسعة تتخذ وحدات كبرى من النص وموضوع الدراسة فيها يتجاوز حدود الملفوظ.

2- دراسة نظامية للروابط الحجاجية وعوامل أخرى للتفلسف اللغوي :

مثل الألفاظ التالية: (إذن، في العمق في النهاية، مع ذلك... الخ ³ .

وهي عبارة عن التحليل مصغر للمحادثة.

وإطار المحادثة هو فعل النظرية التداولية (نظرية الخطاب) التي أنشأها العالم "غرايس"

وحسب افتراضه أنه استنتج من القوانين السالفة الذكر: دراسة بنيوية ودراسة نظامية... يجب على المتكلم مراعاتها لأنها تشكل مبدأ في كل محادثة وأن المحادثة عمل جماعي للعلاقات البشرية.

¹ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج ص273.

² - المرجع نفسه ص 19.

³ - مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة وآدابها، جامعة الجزائر، ع17، جانفي 2006، ص 85.

وأن المحادثة عمل جماعي للعلاقات البشرية مبدؤه بالتعاون ومبدأ التعارف يؤسس تأويل معنى الملفوظ مراعيًا قوانين الخطاب أو مخالفته وقوانين الخطاب نتيجتها هي الوصول إلى التحليل الحجاجي وعلم اجتماع الخطاب عند مستعملي اللغة كما أشار "ارفع غونمان" بصفة عامة فإن إنتاج الخطاب الذي تهدف إليه البلاغة من وضع الحجج المنطقية إلى إنجاز الخطاب القانوني الاجتماعي هذا هو المقصد الوحيد الذي تهدف إليه التداولية في الحجاج التداولي الذي ينطلق من الحقل البلاغي.

5-2- أنواع الحجج:

لقد ذكر بعض الدارسين أنواعا من الحجج نوردتها كالتالي:

- حجة التبذير: (largement de gaspillage) وتستخدم في العادة الأداة "بما أن".
- حجة الاتجاه: (Direction) وغرضها التحذير من انتشار شيء ما وأخذ الحيطة منه.
- الحجة التواجدية: تبنى على علاقة الشخص بعمله ويمكن أن نمثل بها بقوله صلى الله عليه وسلم

"من حسن أسلام المرء تركه ما لا يعنيه". نقول

- الحجة الرمزية: للرمز قوة تأثيرية في اعتقاد من يقرون وجود علاقة بين الرمز والمرموز إليه كدلالة " العلم" على نسبته إلى وطن معين والميزان للعدالة¹.
- حجة المثل: الغاية من وجودها هو تأسيس القاعدة والبرهنة عليها (argument d'analogie أي حجاج بالصورة البلاغية وقياس خطابي²).
- حجة الاستشهاد: والغاية منها هي توضيح القاعدة وتكثيف حضور الأفكار في ذهن والقرآن الكريم في هذا الباب هو الذي يقدم لنا أدلة حجاجية.

¹ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج ص48.

² - سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، عالم الكتب الحديث، تونس، 2009، ص122.

- **حجة المقارنة:** أشارت سامية الدريدي إلى أنها تنتمي إلى حجج شبه منطقية (Quasilogiques) وفي الغالب تقوم على الاحتجاج لشيء ما أو لشخص أو لقيمة أو لرأي... باعتماد وانتقاء الافضلية على طرف ثاني من جنسه أو نوعه ¹.

6-مسلمات الحجاج:

يبني الحجاج أساسا من مقدمات يضعها المحاجج في خطابه لإقناع الجمهور وهذه المقدمات بمثابة نقطة انطلاق الحجاج وقد حددها كل من بيرلمان وتيتيكا في:

- **الوقائع: (les faits)** "وتمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أولين جميع الناس ولا تكون عرضة للدحض أو الشك وتنقسم الوقائع إلى وقائع مشاهدة معينة من ناحية ووقائع مفترضة من ناحية أخرى، وهذان النوعان من الوقائع قد يفقدان لسبب أو لآخر طابعهما ك (وقائع) بمعنى حقائق ولكن من حيث هما وقائع فإنهما يكونان متطابقين مع بنى الوقائع التي يسلم بها الجمهور فالملتقي يسلم بالوقائع لكونه يفرض نفسه على الجميع كما أن الحقائق اما تكون نظريات علمية أو حقائق دينية تمثل سلطة معينة على الفرد.

- **الافتراضات: (les présomptions)** درجة التسليم بالافتراضات لا تكون قوية لأنها: (تحدد بالقياس العادي (le normal) أو المحتمل (le vraisemblable) لكن هذا العادي أو المحتمل يتغيران بتغير الحالات) ² ، أي أن الافتراضات هي احتمالات توفر للمتكلم مبررات كافية اعتقاد المعقول لأنها ترتبط بما يحدث عادة لذلك تركيز على الافتراض المسبق.

¹ - المرجع نفسه ص 123.

² - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج ص 24 - 25.

– القيم: (les valeurs) يقوم الحجاج بكل ضروبه على القيم فهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء والقيم نوعان: مجردة كالعدل والحق، ومحسوسة كالوطن.

– الهرميات: (les hiérarchies) تخضع الحجج إلى مراتب متدرجة هرمية (فالقيم وإن كانت تسلم بها جماهير عدة فإن درجة تسليمها بها تكون مختلفة من جمهور لآخر وهو ما يعني أن القيم درجات وليست كلها درجة واحدة وما يميز كل جمهور ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما تميزه طريقة ترتيبه إياها) ¹ . والمتكلم يبني حجاجه انطلاقاً من قيم هرمية تخضع لتراتبية معينة حسب الأفضلية والأعلى درجة.

– المواضع: (les lieux) تعد مسلمات اعم من القيم وهرميتها لأنها حجج توظف المشترك العام وهي يشكل من العلاقة (بين المنطق والواقع تؤسس بفضل بين القضية العامة والقضية المشتركة) وتنقسم المواضع إلى مشتركة ومواضع خاصة، الاولى يمكن تطبيقها على حد سواء على أي علم من العلوم وهي لا تأخذ من أي علم والمواضع الخاصة إما هي خاصة بعلم معين وإما بنوع خطابي معرف إلى جانب هذه الأقسام تحمل المواضع كذلك أنواع منها:

مواضع الكم مثل: ما هو أبقى أفضل مما هو أقل بقاء والكل خير من الجزء والنوع الثاني هو الكيف مثل: الحق واحد مهما كثر خصومه ، ومواضيع الوجود (les lieux d'existant) والتي تقول بفضل الموجود على المحتمل ² .

7-تقنيات الحجاج:

يقسم بيرلمان وتيتيكا تقنيات الحجاج اللغوية إلى نوعين: تقنيات وطرق الوصل وتقنيات وطرق الفصل.

¹ – المرجع نفسه ص26.

² – خديجة بوخشة، حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، أطروحة في اللسانيات التداولية، جامعة وهران، 2013-2014 ص32.

7-1- تقنيات الوصل: (procédés de liaison)

وهي الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباعدة بدءًا وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما ايجابيا أو سلبيا ¹.

ومن هذه التقنيات:

7-1-1- طريقة المحاجة شبه منطقية:

تستمد هذه الحجج قوتها الإقناعية من مشابقتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة وتعتمد هذه الحجج البنى المنطقية مثل: التناقض والتماثل التام أو الجزئي ومثل قانون التعدية، كما تعتمد أيضا العلاقات الرياضية مثل علاقة الجزء بالكل وعلاقة الأصغر بالأكبر وعلاقة التواتر وغيرها ²، وتنقسم هذه الحجج إلى:

أ- الحجج المبنية على المنطق: وهي أنواع:

***التناقض وعدم الاتفاق:** هو أن يكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداها نفي للأخرى ونقض لها كأن يقال: المطر ينزل ولا ينزل، في حين أن عدم الاتفاق أو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى فهي خاطئة.

***التماثل والحد من الحجاج:** المائل التام مداراة على التعريف من حيث هو تعبير عن التماثل بين المعرّف (بفتح الراء) والمعرّف (بكسر الراء) وليس المعرّف (بكسر الراء) تمام المعرّف (بفتح الراء) على الحقيقة ولهذا اسمي هذا الحجاج حجاج شبه منطقي مثاله: الرجل رجل أو الأب يبقى دائما أبًا ³.

¹ - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج ص41.

² - المرجع نفسه ص42.

³ - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج ص44.

***الحجج القائمة على العلاقة التبادلية وعلى قاعدة العدل:**

تتمثل هذه الحجج في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة وهذا

يعني أنهما متشابهتان بطريقة أو بأخرى مثال:

- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.
- يقول أحمد شوقي: أحرام على بلبله الشدو حلال للطير من كل جنس¹.

***حجج التعدية: التعدية خاصية شكلية تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح**

لنا أن نمر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين (أ) و(ب) من ناحية و(ب) و(ج) من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى استنتاج أن العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين (أ) و(ج) مثال ذلك: عدو عدوي صديقي .

ب- الحجج شبه المنطقية المعتمدة على العلاقات الرياضية:

تعتمد هذه الحجج على قواعد رياضية التي تؤسس طاقتها الحجاجية بهدف الإقناع منها:

***إدماج الجزء في الكل:** يكون الحجاج في هذه الحالة قائما على النموذج التالي "ما

ينطبق على الكل ينطبق على الجزء" مثال: ما اسكر كثيره فقليله حرام.

***تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له:** تصور الكل على أنه مجمل أجزائه تبني عليه

طائفة من الحجج يمكن تسميتها حجج التقسيم أو التوزيع، كقولنا: الكلام اسم وفعل

وحرف².

7-1-2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

تقتضي هذه الحجج ترابطا بين عناصر الواقع الذي ترتكز إليه من أجل الحجاج فاستخدم

هذه الحجة يعني أن التوضيح بصورة جلية للترابط بن القضية التي يتم الدفاع عنها،

¹ - المرجع نفسه ص44.

² - المرجع نفسه ص46.

وعنصرا مقبولا سلفا لدى المتلقي هذا الرابط يجيب أن يكون معطى مسبقا ولا يتم خلقه أو إيجاده عند الحاجة مثلما هو الحال في المماثلة¹.

7-1-2- الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

تهدف هذه الحجج إلى الربط بين الأحداث المعاشة والمتابعة فهي تجمع بين وقائع مترابطة زمنيا أو مكانيا أو رمزيا وتربطها صلة قوية بالواقع ولكنها لا تتأسس عليه ولا تتبني على بنيته وإنما هي التي تؤسس هذا الواقع وتبنيه ويمكن هذا الواقع وتبنيه ويمكن التمثيل للترابط فيما يلي:

- في هذا الحي ذبابا كثيرا إذن هناك قممات قريبة (تلازم مكاني).
- هذا الشخص يعاني من سرطان الرئة إذن كان يدخن (تلازم زمني).
- هؤلاء المتظاهرون يحرقون العلم الاسرائيلي إذن هم رافضون للكيان الصهيوني (تلازم رمزي)².

وتقوم هذه الحجة ببناء الواقع وتأسيس من خلال تقنيتين من الاستدلال المؤسس لبنية الواقع هما:

أ- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة: منها المثل الذي يؤتى به لتأكيد الفكرة المطروحة.

ب- الاستدلال بواسطة التمثيل: يقوم على استخدام التمثيل استخداما حجاجيا لأنه في الحقيقة قائم على العلاقة تشابه مثال ذلك قوله تعالى: « مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ » الآية 41 من سورة العنكبوت.

¹ - ينظر: فيليب بروتون، جيل جوثيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر، محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية ط1، 2011، ص49.

² - ينظر، بوصلاح فايزة: الاقتناع في قصة إبراهيم عليه السلام، مقارنة تداولية، جامعة وهران 2009/2010، ص 152.

العلاقة بين العناصر ليست علاقة تشابه بل تشابه علاقة وذلك أن علاقة (أ) و(ب) أي المشركون بأوليائهم تشبه علاقة (ج) و(د) أي علاقة العنكبوت بيبتها، فالأولى يعبدون الأصنام ويعتصمون بها أما الثانية تبني بيبتها فتعتصم به من المعتدي. يسمى المؤلفات (أ) و(ب) أي المشركون والأصنام الموضوع، ويسميان العنصرين (ج) و(د) أي العنكبوت وبيبتها الرافعة أو الحامل (phore)¹.

7-2- تقنيات الفصل: (Dissociation)

تتجلى طرائق الفصل في الأقوال والخطابات بما يعبر عن حضور أزواج من قبيل:

- هو يشبه كذا مثل الشبه العلمي.
- اللا كذا اللا علمي مثلاً.
- بعض الجمل الاعتراضية كقولنا: إن هذا البطل إن صح أنه بطل.
- بعض الأفعال مثلاً: يزعم يتوهم في قولنا مثلاً: يزعم أن يتوهم أنه بطل، هذه التعابير كلها وغيرها كثير تستمد مظهرها الحجاجي من فصلها داخل المفهوم الواحد منقسماً إلى حدين: حد / وحد، كأن يقال: إن ملكاً يفعل هذه الأفاعيل ليس ملكاً².

ومن التقنيات الانفصالية نجد:

7-2-1- الأدوات اللغوية:

- ألفاظ التعليل: تعد من الأليات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي وبناء حججه فيه ومنها: (المفعول لأجله، وكلمة السبب، ولأن) إذ لا يستعمل المرسل أي داه من هذه الأدوات، إلا تبريراً أو تعليلاً لفعله، بناء على سؤال ملفوظ به أو مفترض³.

¹ - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج ص 57.

² - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج ص 61-63.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 20، ص 478.

- **الأفعال اللغوية:** يرى - فان ايميرن وجروتندروست - أن الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج بين طرفي الخطاب وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري ليعبر عن وجهة نظره وليحدد موقفه من نقطة الخلاف كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الادعاء وقد صنف - سيرل (Searle) - الأفعال اللغوية إلى أفعال التزامية التي تستعمل في التعبير عن قبول وجهة النظر أو الرغبة في الحجاج أو عدمه، وفي تدعيم موقف المرسل الذي اتخذ للتعبير عن الموافقة على مناصرة الدعوى أو معادلتها واتخاذ القرار ببدء النقاش مع الموافقة على ضوابطه.

أما الأفعال التوجيهية فلا يستعمل المرسل جميع أصنافها ذلك لطبيعتها التي لا تناسب ما تقتضيه طبيعة النقاش، ولذلك يقتصر المرسل على البعض منها مثل: التحدي للدفاع عن وجهة النظر، أو طلب الحجاج¹.

- **الحجاج بالتبادل:** يحاول المرسل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات كما يمكن أن تكون الحجج نقلاً لوجهة نظر بين المرسل والمرسل إليه وذلك مثل الخطابات التالية:

* ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة.

* عامل الناس كما تحب أن يعاملوك

* لا ترضي لي إلا ما ترضاه لنفسك².

- **الوصف:** يشتمل الوصف عدداً من الأدوات اللغوية منها:

• **الصفة:** تعد الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه وذلك بإطلاقه لنعته معين على سبيل إقناع المرسل إليه.

¹ - المرجع نفسه ص 482.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص 486.

• **اسم الفاعل:** يعتبر من نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجة ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد لتبني عليه النتيجة التي يرومها.

• **اسم المفعول:** ويصنف على أنه من الأوصاف الحجاجية المستعملة وهو: اسم مشتق يدل على معنى مجرد، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلا بد أن يدل على الأمرين معا مثال ذلك: أنا مظلوم، أنصفوني¹.

- **تحصيل حاصل:** هناك من يعد الخطابات مجرد حشو أو تحصيل حاصل لا تقدم شيئاً في الخطاب، والحق أن كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالته الحجاجية.

7-2-2- الآليات البلاغية:

ومن بين الأدوات والآليات اللغوية والبلاغية التي قد تؤدي الوظيفة الحجاجية نذكرها:

- **تقسيم الكل إلى أجزائه "التفريع":** قد يذكر المرسل حجته كلية في أول الأمر ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها إذا كانت ذات أجزاء وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه².

- **الاستعارة:** "تعرف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي³، لذلك يوظف المرسل الاستعارة لثقته أنها أبلغ من الحقيقة حجاجيا وهذا ما يود المرسل تحقيقه.

- **التمثيل:** وهو عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حجته.

- **البديع:** وله دور حجاجي لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الاقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد حتى لو تخيل الناس غير ذلك فأساليب البيان مثلا كالمقابلة والجناس والطباق وغيرها ليست اصطناعا للتحسين والبديع وإنما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ.

¹ - المرجع نفسه ص 489.

² - المرجع نفسه ص 494.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص 495.

7-2-3- الآليات الشبه المنطقية:

وهي من التقنيات الحجاجية التي قدمها عبد الهادي بن ظافر الشهري في كتابه استراتيجيات الخطاب ضمن الآليات التي تجسدها السلم الحجاج بأدواته وآلياته اللغوية ويندرج ضمنه كثير من منها

مثل: الروابط الحجاجية " لكن، حتى، فضلا عن، ليس، كذا، فحسب، أدوات التوكيد"، وكذا درجات التوكيد، الاحصاءات وبعض الآليات منها الصيغ الصرفية مثل: التعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة¹.

8- طريقة القرآن الكريم في الحجاج:

نجد القرآن الكريم قد نطق بجميع أنواع الخطاب وتوسل بألوان من الحجج، بعضها يوافق طبيعة الذهن العربي بوضوح مقدماته ونتائجه وبعضها جاء ما عُرف بعد ذلك عند المتكلمين من اعتماد المُحَاجَّة المستندة إلى الأدلة الدقيقة غير أنه يختلف عنها في أن كل مقدماته يقينية لا مجال فيها للظن².

ولأن القرآن الكريم يخاطب الفطرة الإنسانية وهي قدر ثابت ومشترك بين الأجيال في كل زمان " يأتي الوحي بالاستدلال على وفق خذا الأصل الإنساني العام فيكون مضمونه عالميا وإن وضع في قالب عربي من الألفاظ والتراكيب، ويشبه في مظهره العام العلوم الانسانية التي يتفق عليها البشر مهما اختلفت لغاتهم كأعداد الحساب ورموز الهندسة وأشكال الرسم³

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص 477.

² - ينظر: القرآن المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بيروت، د، ط، د، ت: 394-397، والبرهان في علوم القرآن: 27-5/2، والاتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين بن أبي بكر السيوطي (ت-911هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون والاوقاف والدعوة، مجمع الملك بطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية د، ط، د، ت: 1955.

³ - نظريات في الاستدلال القرآني - أ، د/ عبد الستار فتح الله سعيد مؤسسه أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ط1، 1428هـ - 2007 م: 21.

فقد تناول القرآن الكريم الكثير من الأدلة التي حاجَّ بها خصومه في صورة واضحة جلية يفهمه العامة والخاصة وأبطل كل شبهة فاسدة ونقضها بالمعارضة والمنع مستخدماً في الأغلب أسلوباً واضح النتائج سليم التركيب لا يحتاج إلى إعمال العقل وكثير بحث لأنه يخاطب منكرين جاحدين لا يملكون الرغبة والاستعداد في إعمال الذهن والفكر للوصول إلى النتائج بل على العكس من ذلك لو كانت النتائج واضحة جلية أمامهم لحاولوا أن يجدوا لها تخریجاً بالجدل الباطل الذي لا يستند إلى دليل أو برهان.

كما أن القرآن الكريم لم يسلم من مناظراته طريقة المتكلمين في عرض المقدمات والنتائج التي يعتمدون عليها لأسباب ذكرها - الزكشي - في كتابه (البرهان)، أهمها: ¹

- لأن القرآن الكريم جاء بلسان العرب وخاطبهم بما يعرفون ² ، قال تعالى:

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» سورة ابراهيم الآية 04.

- لأن الاعتماد في الاستدلال على ما فُطِرَتْ عليه النفس من الايمان بما تشاهد وتحس دون عمل عقلي أقوى أثراً أبلغ حجة.

- لأن ترك الجلي من الكلام والالتجاء إلى الدقيق الخفي نوع من الغموض والإلغاز لا يفهمه إلا الخاصة وهو على طريقة المناطقة ليس سليماً من كل وجهة وأدلة التوحيد والمعاد المذكورة في القرآن من نوع الدلالة المعينة المستلزمة لمدلولها بنفسها من غير احتياج إلى اندراجها تحت قضية كلية.

فجاء ذلك التنوع في الأدلة القرآنية التي تخاطب الإنسان في جميع أقطاره واختلاف عصوره.

¹ - ينظر: البرهان في علوم القرآن: 24/2.

² - فالعرب لم تكن تعرف أسلوب المناطقة والمتكلمين في الجدل والمناظرة لذا جاءهم القرآن بما يعرفون من أساليب وطرق المناظرة.

8-1- الأدلة الكونية:

وهي الأدلة المخاطبة لعقل الإنسان وفكره ووجدانه وهذا اللون "على سهولة أقوى أنواع الأدلة وأقربها إلى النفوس واليقين لدلالاته على المطلوب بذاته من أقصر سبيل حيث يعتمد المسلمات البديهية المحسوسة أو المعقولة " ¹ .

8-2- الأدلة النفسية:

وهذه الأدلة بالغة الأهمية للإنسان "وفي قضية الايمان بالذات التي تعتمد مجرد المعرفة العقلية وإنما لا بد أن تتشابك فيها عناصر هذا الكيان الإنساني البديع لتستقر وتأنس وتتفعل وتتحرك " ² ، يتزرع هذا الدليل من زوايا نفس الانسان وأعماق شعوره الداخلي " وهي درجة من أعجب ما قدمه هذا المنهاج في الاستدلال " ³ .

قال تعالى: « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » سورة الانعام الآية 40.

8-3- الأدلة العقلية:

وهي الأدلة التي تقوم على "عمليات فكرية كترتيب المقدمات واستخراج نتائجها حسب ضوابط وقوانين وراء بداهة الحس ومشاعر النفس " ⁴ ، وقد جاء الاستدلال العقلي في القرآن الكريم على نمط خاص لم يتقيد بأشكال المنطق وضروبه بل كانت أدلته أوسع مدى منها ومن هذه الاستدلالات.

— استخدام الحقائق المشهورة والبديهيات المستقرة ⁵ : حقائق متفق عليها في ابتناء الدليل عليها فيذعن الخصم للدليل إذعانا، قال تعالى: « بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » سورة الانعام

¹ - نظريات في الاستدلال القرآني 23.

² - المرجع نفسه ص 25.

³ - المرجع نفسه ص 24.

⁴ - نظريات في الاستدلال القرآني 26.

⁵ - ينظر: البلاغة والاتصال: 110.

الآية 101، فحيث تقرر أن الولد لا يكون من غير أم فقد بنى القرآن على هذه الحقيقة المسلمة دليل بطلان ما نسبوه إليه تعالى من الولد لأنه ليس له صاحبة والدليل واضح يدل على المطلوب مباشرة ولا يحتاج إلى مقدمات المنطق الارسطي وغير ذلك من التعقيدات التي تصرف الذهن عن المطلوب الأصلي لكثرة الوسائط والالتفات إلى المقدمات¹.

– الأقيسة: التي يجري الاستدلال بها عن طريق إلحاق فرع بأصل في أمر مشترك بينهما ليتقرر الحكم في المجهول كما هو مقرر في المعلوم²، وهذا النوع متعدد في القرآن الكريم³.

9- أهمية الحجاج :

للحجاج أهمية كبيرة فيه يتم السعي إلى امتلاك أساليب للإقناع وكسب تأييد الآخرين وطرق التعامل القال مع الحجج التي يواجهها الناس في كل مكان وفي سائر الأوقات عبر التلفاز والجرائد والمجلات والنقاشات السياسية والمحاضرات⁴.

كما نجد أهمية الحجاج في العصر الحديث خاصة مع النصف الثاني من القرن العشرين فلا يخف على أحد ما شهدته المجتمعات الغربية من تحولات اجتماعية وسياسية عميقة خلال النصف الثاني من القرن العشرين تجسدت بعض مظاهرها في انتعاش النظم الديمقراطية وتشكيل الأحزاب السياسية والجمعيات والنوادي والهيئات الأهلية وشيوع النقاشات العامة

¹ - ينظر: التحرير والتنوير: 411/7، وبصائر الحق في سورة الأنعام: 99، 100 ونظرات في الاستدلال القرآني: 27.

² - ينظر: نظرات في الاستدلال القرآني: 28.

³ - وقد ذكر السيوطي في كتابه (الاتقان) مجموعة من الأدلة العقلية أورد تفاصيلها بأدلة من القرآن الكريم منها: دليل التمانع ودليل التسليم ودليل السبر والتقسيم وغيرها [ينظر: الإتقان في علوم القرآن 1962، 1954] كما جاء عند الامام ابن القيم الجوزية تقسيمات هذه الأقيسة حيث خلص في النهاية إلى ان المستعمل منها في الاستدلال هو: قياس العلة وقياس الدلالة وقياس الشبه وجميعها قد ورد في القرآن الكريم [ينظر بتفصيل أكثر: أعلام الموقعين عن رب العالمين - الامام ابن القيم الجوزية (ت: 715هـ) تحقيق وضبط: عبد الرحمن الوكيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان د، ط، د، ت، ت: 140/1-163].

⁴ - ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: 73 والبلاغة والاتصال: 177 والحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو: 209، 212.

والخاصة حول البرامج والمذاهب والاختيارات وقد مثلت وسائل الاعلام مجالا أساسيا لبروز هذا التنافس خصوصا أنها شهدت تطورا هائلا مع دخول تقنيات الاتصال السمعي / البصري إلى الحياة العامة بحيث دخل معها العالم في حال أصبحت السمة المميزة لها هي التواصل وبالأساس التواصل الحجاجي الذي يسعى فيه الفرد إلى إقناع غيره بوجهة نظره واستمالته إلى جانبه¹.

وهكذا يمكن القول: إن الحجاج يسعى إلى التأثير في الخصم وأقناعه "بمشروعيته وصلاحيته الموقفة"²,

وهذا يعني أن الحجاج يهدف إلى تأسيس موقف ما حيث يتوجه إلى متلقي يبحث دائما لأخذ قبوله وموافقته كما أنه يعتمد على تقديم عدد كبير من الحجج مختارة اختيارا حسنا ومرتببة ترتيبا محكما لتترك أثرها في المتلقي وهذه خاصية تجعله يتميز عن البرهنة كما يهدف إلى جعل العقول التي يتوجه إليها تتخبط في الأطروحة أو الدعوى.

10- دلالة الحجاج في القرآن الكريم:

إن البحث عن الحجاج في الثقافة العربية الإسلامية هو القراءة الدقيقة للتراث الثقافي العربي، وإن كانت البلاغة العربية تكشف عن أسس هذا الدرس، إلا أن البحث في الحجاج إنتاجا وتنتظيرا قد تعد الدرس البلاغي إلى فروع أخرى من هذا الفكر، ذلك أن التنتظير للحجاج لم يقع كله داخل مجال البلاغة كما حدث مع أرسطو وإنما تعداها لتتقاسمه فروع أخرى كعلوم القرآن وعلم التفسير وعلم أصل الفقه، الفلسفة وعلم الكلام...

ويعود تسرب الحجاج لهذه الفروع إلى تقاسمها لفن الخطابة باعتبارها فنا قادرا على مجابهة الجمهور وحملهم على الإقناع.

¹ - ينظر: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو: 208.

² - حول مفهوم الحجاج ، مقارنة فلسفية لسانية ديداكنتية: 40.

تعرضت كتب علوم القرآن مثل " البرهان فب علوم القرآن " للزركشي و"الإتقان في علوم القرآن " للسيوطي، لجدل القرآن الكريم باعتباره علما من علوم وتقييم لفظة "الحجاج" مقام "الجدل" كما تستخدم ألفاظ "المحاجة" "الحجاج" "الاحتجاج" على أنها مرادفة للجدل.

كما تعرضت كتب التفسير إلى بيان آلية الإقناع في الخطاب القرآني وتفسيره دلالة لفظتي "حجاج" "جدل" من خلال القرآن الكريم فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير إشارة إلى معنى "حاج" في قوله تعالى: « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » سورة البقرة الآية 258.

" معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان (...) مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة " ¹ وقال في شأن الجدل في قوله تعالى: « وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا » سورة النساء الآية 107.

"والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك " ²، فالجامع بين لفظي "الجدل" و"الحجاج" هو المخاصمة وسنحاول من خلال هذا الفصل تتبع دلالة "الحجاج" في القرآن الكريم إذ أننا ندرك أن أي مصطلح قرآني مهما شابه غيره أو قاربه في دلالة فله خصائصه المميزة له عن غيره باعتباره كائنا لفظيا ومفهوميا له قيمته الفردية وكيونته الاصطلاحية فنتساءل بذلك عن مفهوم الحجاج وسياقاته في القرآن الكريم وبذلك تتضح الفروق الاصطلاحية وتتضح الدلالات الأصلية للمفهوم في ظل دلالة الوحي التي تبقى المرجعية النصية التأسيسية للحجاج في اللغة والاصطلاح.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر، د ت 31/3-32.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر، د ت 5/194.

لقد ورد جذر (ح، ج، ج) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاثة وثلاثين موضعاً ويمكن بيانها في الجدول التالي: ¹

الآية	السورة	رقم الآية
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ... »	البقرة	258
« فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ... »	آل عمران	61
« فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ... »	آل عمران	20
« هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ... »	آل عمران	66
« وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ... »	الأنعام	80
« لِيَحْجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ... »	البقرة	76
« قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ... »	البقرة	139
« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ... »	آل عمران	65
« فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ... »	آل عمران	66
« أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ... »	آل عمران	73
« قَالَ أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ ... »	الأنعام	80
« وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ ... »	الشورى	16
« وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ... »	غافر	47
« لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ... »	البقرة	150
« لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ... »	النساء	165
« وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ... »	الأنعام	83
« قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ... »	الأنعام	149
« لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ... »	الشورى	15
« حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ... »	الشورى	16
« مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ... »	الجاثية	25

¹ - لمهابة محفوظ، الحجاج دراسة مصطلحية مجلة مجمع اللغة العربية دمشق ع 71، ج 3، ص 139-531.

ومن خلال هذا الجدول يتبين أن مجموع المواضع ورد فيها مصطلح بمعنى "المحاجة" بلغ عشرين موضعاً وقد وردت حجج في اثني عشر موضعاً في معنى "الحج" الذي هو الشعيرة وموضع واحد في معنى السنوات.

أما الحجاج في القرآن الكريم مفهوم معبر عنه بأشكال من العبارات والأساليب التي تدل على الحوار وتهدف إلى إقناع بالبراهين والأدلة العقلية والكونية والفطرية (وقد جمع القرآن الكريم الدلالات المختلفة لمفردة الحجاج في صميمه جامعة هي "الحجة البالغة" فيصبح الأمر أكثر وضوحاً عندما نتساءل عن وجوه التمايز والتدخل والتشابه بين الحجاج ومفردات أسرته المفهومية)¹.

ولعل مجموع ما أمكن رصده من تلك المفردات ما يلي:²

- 1- **الجدل:** ويكاد يرادف الحجاج ثم أنه وارد في القرآن الكريم وروداً يكاد مساوياً لورود لفظ "الحجاج" إذ ورد في تسعة وعشرون موضعاً.
- 2- **المخاصمة:** بمعنى التخاصم، والخصام وهو قليل الورد في القرآن الكريم.
- 3- **المراء:** يكاد يكون مرادفاً للجدل.
- 4- **التحاور:** من المحاورة والحوار وتغلب عليه صورة الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا تقصد به الخصومة.
- 5- **المنازعة:** إذ تعد عنصراً محورياً في تعريف الجدل والحجاج.
- 6- **الخلاف:** وسنحاول التركيز على لفظ "الجدل" نظراً لقربه من لفظ "الحجاج" من حيث حجم الورد ومن حيث الدلالة.

¹ - لمهابة محفوظ، الحجاج دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللغة 532/3.

² - المرجع نفسه 532/3.

11- الحجاج بين الجدل والخطابة:

11-1- تعريف الجدل:

لغة: هو الخصام والمناظرة بالحجج، ورد في لسان العرب (الجَدَل: مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ وَالْمُجَادَلَةُ: الْمُنَازَرَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ... وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَجَدَلٌ إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْخِصَامِ)¹.

اصطلاحاً: يعرفه الباجي بأنه: تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه².

وعرف الجدل بأنه عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة وهو لا يكون إلا بممازعة غيره والنظر قد يتم به وحده³.

11-2- تعريف الخطابة:

لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة في باب الخاء والطاء وماثيلتهما (الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطابة من ذلك... والخطبة الكلام المخطوب به)⁴.

وفي لسان العرب يقال: (خَطَبَ فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ فَخَطَّبَهُ وَأَخْطَبَهُ أَيَّ أَجَابَهُ وَالْخِطَابُ وَالْمُخَاطَبَةُ: مُرَاجَعَةُ الْكَلَامِ، وَقَدْ خَاطَبَهُ بِالْكَلَامِ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا، وَهُمَا يَتَخَاطَبَانِ... وَالْخُطْبَةُ مَصْدَرُ الْخُطْبِ، وَخُطِبَ الْخَاطِبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَاخْتِطَبَ يَخْطُبُ خُطَابَةً، وَاسْمُ الْكَلَامِ: الْخُطْبَةُ)⁵

¹ - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط3، 1414هـ - 1993م، ج11 ص 106.

² - الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح، عبد المجيد تركي، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط3، 2001م ص 11.

³ - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحنفي الحسيني، الكليات، تح، عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د ط، 1998م ص 545.

⁴ - ابن فارس أبي الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون دار الفكر، القاهرة، د.ط 1399هـ - 1979م ج2 ص 198.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب ج1 ص 361.

ومن خلال ما سبق يظهر لنا الخطابة في اللغة هي ما يوجهه المخاطب من كلام لجمهور ما.

اصطلاحًا: هي مجموعة قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد¹، ولعلّ أوضح وأدق ما عرفت به الخطابة أنها: (نحن مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشمل على الإقناع والاستمالة)².

يشمل هذا التعريف على عناصر معينة:

- أن يكون الحديث مخاطبة لجمهور من الناس.
- أن يكون بطريقة إقائية.
- أن يكون الحديث مقنع يشتمل على أدلة وبراهين.
- أن يتوفر في الخطبة عنصر الاستمالة: أي استجابتهم السامعين لما تدعو إليه الخطبة.

11-3- علاقة الجدل والخطابة بالحجاج:

من خلال تعريف الجدل والخطابة يتبين لنا أنهما يمثلان القوة الكلامية لإنتاج الحجاج فهذا الأخير حسب اعتماد صولة عبد الله يمثل: (القاسم المشترك بين الجدل والخطابة... حيث أن الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج) ويتم الدكتور شرحه في القضية من خلال هذه العلاقات إلى أن هناك حجاجان جدلي وخطابي.

¹ - محفوظ علي، فن الخطابة، وإعداد الخطيب، دار النصر، شيرا - مصر، د ط 1984م، ص 13 .

² - عبده شلبي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق ، القاهرة ط 3، 1987م، ص 13.

والحجاج الجدلي هو مناقشة الآراء مناقشة نظرية محظرة لغاية التأثير العقلي المجرد وتمثله في التراث العربي الاسلامي مناظرات " علم الكلام " ¹ وعلى هذا النحو يعرفه التهانوي في كشافة أنه: (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه)². أما الحجاج الخطابي فهو (حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة والحجاج هاهنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والاتفعالات وألى إرضاء الجمهور واستمالة...)³.

11-4- علاقة الحجاج بالإقناع:

ورد ذكر لفظة الإقناع في المعاجم العربية تحت قوالب لغوية تحمل عدة دلالات أهمها: ما جاء في معجم العين ل " الخليل " (ت: 170 هـ) (فلان مُقْبَعٌ: أي يُرْضَى بِقَوْلِهِ)⁴. وما جاء في معجم " مقاييس اللغة " أن: (القاف والنون والعين أصلان صحيحان أحدهما يدل على الاقبال على الشيء... والأخر يدل على استدارة في الشيء، فالأول الإقناع: الإقبال بالوجه على الشيء... فالقانع: السائل، وسُمِّيَ قانعًا لإقباله على من يسأله)⁵. وما ذكر في لسان العرب من مادة " قنع " : (قَنَعَ بِنَفْسِهِ قَنَعًا: رَضِيَ، يُقَالُ: فُلَانٌ شَاهِدٌ مَقْنَعٌ بِهِ وَرَجُلٌ قُنْعَانِيٌّ وَقُنْعَانٌ وَمَقْنَعٌ: وَكِلَاهُمَا لَا يُثْنَى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُؤْنَتُ: يُقْنَعُ بِهِ وَيَرْضَى بِرَأْيِهِ وَقَصَائِهِ)⁶.

¹ - صولة عبد الله الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت ط2، 2007م ص 17-18.

² - التهانوي، محمد بن علي، تح رفيق المعجم، علي دحروج، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ط1، 1996م ج1 ص29.

³ - صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ص18.

⁴ - الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتبًا على حروف العجم تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2003م، ج3 ص435.

⁵ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج5 مادة (قنع) ص32-33.

⁶ - ابن منظور، لسان العرب، ج8 ص297.

يتضح لنا من كل هذا أن الإقناع في اللغة يكمن في الإقبال على الشيء والرضا به والقبول بالرأي والإطئنان إليه.

وإذا كانت الخطابة في محاطبة الجماهير بطريقة إقائية قصد الإقناع والتوجيه... فغنه يستلزم على الخطابي أن يبني كلامه على الحجج والبراهين وذلك لأن الهدف الذي يريده من خطابه هو إقناع السامع أي: (إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه)¹، فالإقناع من هذا الباب هو: (حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك)²، ولما كان الإقناع يعني وجود طرفين أو أكثر، وأنه فن ذو صلة متلازمة مع المجتمع بشرائحه المتفاوتة في البيئة والثقافة واللغة... فلا بد من توفر أمور ثلاثة يمكن من خلالها ان تتم عملية الإقناع بأكمل وجه.

— **فعل يقوم بعملية الإقناع:** ويستلزم هنا أن يكون القدرة على استمالة الجمهور غليه وإحداث تغير في نفوسهم.

— **مادة إقناعية:** والمتمثلة في الحجة التي يتم من خلالها التواصل إلى إقناع المتلقي³.

— **متلقي " الجمهور "** : ويجب أن يكون المخاطب في هذه الحالة مهياً لقبول الحجة والاقتران بها، (لأن العملية الإقناعية مبنية على الاقناع والاقتران ولا يمكن أن تقوم على جانب واحد منها)⁴. **المخاطب (اقناع)** ← **الحجة (مادة الاقناع) المتلقي (مادة اقناع)**

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، دار الكتاب الجديد، بيروت ط1 2004 ص444.

² - عبده شلبي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب ص 13.

³ - السباعوي، طه عبد الله محمد، أساليب الإقناع في المنظور الاسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، دس، ص19.

⁴ - حمدان سليم، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة 2008 م - 2009م، ص90.

وعليه فالإقناع (محصلة قول حجاجي ترفع بسلطته المسافة بين الانسان والانسان ويوجه لتحقيق أغراض مختلفة)¹، فالإقناع باعتباره أسلوبًا للتأثير في السامع يحمل في طياته معنى الحجاج أذ يمثل الهدف الاساسي للقول الحجاجي.

12-الحجاج عند العرب :

12-1-قديمًا:

يضرب الحجاج - الجدل الجدال المجادلة - بجذور قوية في الخطاب العربي فضلا عن الدور المهم الذي لعبه الحجاج في الحياة العقدية والسياسية في البيئة العربية الإسلامية علاوة على استخدام البنية الحجاجية في الخطاب العلمي البلاغي على نحو ما نرى في دفاع عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن بإقناع الناس بنظرية النظم مما طبع دلائله بطبيعة حجاجية واضحة كما شغل الحجاج بعض القدماء (منهم الجاحظ في " البيان والتبيين " كما تحدث عنه ابن رشيق عبد الله بن المعتز في كتاب العمدة الذي ختم أبواب البديع الخمسة بالمذهب المالكي - أسلوب حجاجي - وسماها بعضهم الاحتجاج النظري ومنه الخطيب القزويني في الايضاح وأطلق عليه الزركش إجم الخضم بالحجة في الإيضاح في علوم القرآن وقد ذهبوا في تعريفهم إلى أن المذهب الكلامي أو المذهب المنطقي المقياس المنطقي لون من الحجاج يرمي فيه المتكلم إلى إقناع خصمه بالحجة) جنسا خاصًا من الخطاب ويمكن الوقوف على محاولتين مهمتين في دراسة الحجاج لكل من أبي الحسن إسحاق بن وهب وحازم القرطاجني.

أما ابن وهب فقد قدم في كتابه البرهان في وجوه البيان تعريفًا دقيقًا للجدل - والمجادلة (إذا جعل منه خطابًا تحليليًا إقناعيًا وميز من خلاله بين أنواع الجدل وقسمه إلى جدل محمود وآخر مذموم كما تحدث في بحث من مباحثه حول أدب الجدل واشترط مجموعة من الشروط

¹ - عطا الله، محمد، الإقناع في الخطاب الحجاجي (مقارنة لوسائل الإقناع في عيون البصائر، دار الذهب الأسود، حاسي مسعود، ورقة ط1، 2013 ص 17.

التي يجب توفرها في المحاج كآلا يقبل قولاً إلا بالحجة ولا يردّه إلا لعلّة وآلا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله وآلا يستصغر خصمه ولا يتهاون فيه...¹ (

أما حازم القرطاجني فإن أهم ما يمكن أن يستخرج من نظريته العامة في التخيّل والإقناع من خلال مؤلفه منهاج البلغاء وسراج الأدباء أنه ميز بين جهتين للكلام حيث يقول: (لما كان كل الكلام يحتمل الصدق والكذب وإما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال)،

كما تحدث أيضاً عن طريقتين لإقناع الخصم وهو يقول في ذلك: (التموهيات تكون فيها يرجع إلى الأقوال والاستدراجات تكون تبهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله أو باستمالته المخاطب واستلطاف له حتى يصبر بذلك كلامه مقبولاً عند الحكم وكلام خصمه غير مقبول)². ومع وجود عوامل متعددة ساعدت على تطور البلاغة العربية ونشأة التأليف فيها لعل من أهمها البحوث التي اتصلت بدراسة القرآن الكريم لغة وإعجازاً ولقد لعبت المؤتمرات الأجنبية دوراً لا يستهان به في تطوير الدرس البلاغي وإثرائه وفتحه على المجالات والحقول المعرفية المجاورة وقد كان لحضور المثر اليوناني دوراً بارزاً من خلال القراءات التي تناولت كتب أرسطو بالترجمة والشرح وتجليات ذلك التأثير في المصنفات العربية بدءاً من مجاز القرآن لأبي عبيدة وصولاً إلى منهاج البلغاء للقرطاجني وعقود الجمان لسيوطي وقد بدأ من خلاله الوعي بمفهوم الحجاج وساعد ذلك في بروز بلاغة جديدة عمادها البيان والحوار والحجاج.

وفي هذا الجو الجديد يظهر الجاحظ مدافعاً عن الحوار وثقافته ومحاولاً وضع نظرية البلاغة الحجاج والإقناع أساسها مراعاة أحوال المخاطبين³، كما أتم الجاحظ بالفعل اللغوي واعتبره الأساس لكل عملية بيانية حجاجية (والكلام في نظره لا يمكن تمييزه عن البلاغة فهو يضطلع

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة - الجزء الرابع - ص9.

² - حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته ص9.

³ - محمد سالم، محمد طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى 2008

في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما أولاً الوظيف الخطابية وما يتصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة والثانية البيان والتبيين أو الفهم والإفهام¹.

ومفهوم البيان عنده تتنازعه وظيفتان أولهما إفهامية والثانية حجاجية (إقناعية) ومن العوامل التي جعلت الجاحظ يهتم بالنزعة الحجاجية انتمائه المذهبي إلى المعتزلة وتصدره للدفاع عن العديد من أطروحاتهم وكان من شأن هذا تحفيزه على التفكير في نصوص الخصوم ثم البحث في الآليات الكفيلة بدحضها.

12-2-حديثاً:

12-2-1-الحجاج عند محمد العمري:

بدأ محمد العمري دراساته وأبحاثه في الدرس البلاغي الجديد أو الحجاج من باب الإقناع فكانت نظرية للحجاج إقناعية يغلب عليها الطابع الفلسفي اليوناني القديم حيث يقول: (وقديماً عمل أفلاطون في محاورته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة)²، فهو اعتمد على الدعائم الأريطورية لبلاغة الخطاب باعتبارها جسر وصل المُخَاطَب في خطابه للإقناع ويظهر جلياً في كتابه بلاغة الخطاب الإقناعي حيث يقول: (وبدأ الحنين من جديد إلى " ريطورية " أرسطو التي تتوصل إلى الإقناع في كل حالة على حده بوسائل متنوعة حسب الأحوال...) ³.

فالشروع البلاغي الذي مثله كتاب بلاغة الخطاب الإقناعي ل محمد العمري يحمل في طياته إشارات للبعد الإقناعي في بلاغة الجاحظ ومن سجّل معه تراث البلاغة العربية فطبق " التصور البلاغي لبرلمان - لعمقه وبساطته وارتباطه مباشرة بأرسطو مما يسمح باستيعاب

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، د ط ، د ت 220/1.

² - العمري محمد في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار أفريقيا الشرق المغرب ط2، 2002م ص13-14.

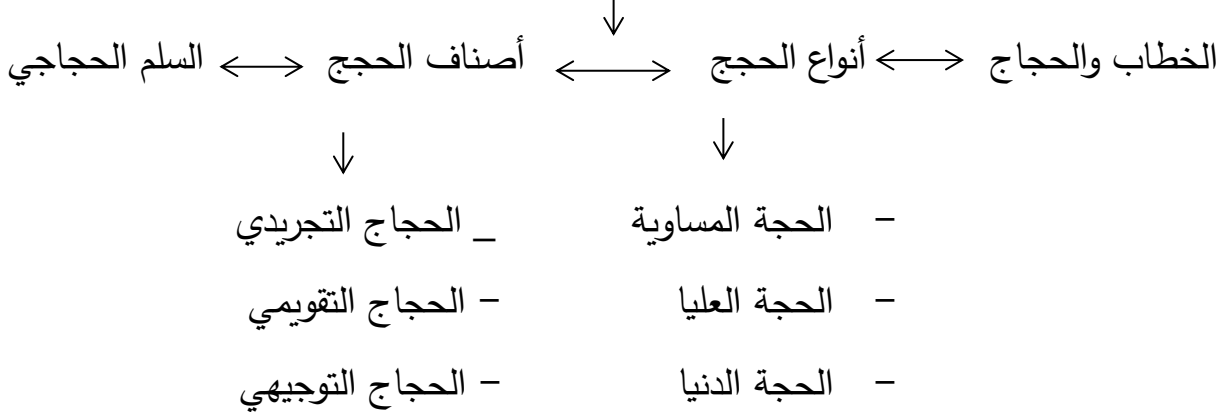
³ - بن خراف، ابتسام، تلقى النص البلاغي عند الطنور محمد العمري مقارنة وصفية تحليلية، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءات ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد5، 2013 ص52.

الجاحظ بيسر كما يقول - على الخطابة العربية في القرن الأول الهجري مجتهدًا في كشف آلياتها الإقناعية التي تميزها عن الشعر .

12-2-2- الحجاج عند طه عبد الرحمن:

يُعتبر الدكتور طه عبد الرحمن من أبرز المفكرين والفلاسفة الذين ابدعوا ونظروا في مجال الحجاج وإن ما يميز عمله من غيره من الباحثين طغيان الطابع الفلسفي في دراساته فهو درس الحجاج باعتباره الوسيلة الأكثر تأثيرًا في نفوس المتلقين يستعملها المتكلم بهدف الإقناع، إذ حد الحجاج عنده (أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصصة يحق له الاعتراض عليه)¹، فهدفه تناول الحجاج باعتباره استراتيجية إقناعية تهدف إلى التأثير في المتلقي بحيث تأخذه لفعل شيء أو الاعتماد بشيء يريده المتكلم، إذ يحق للمتلقى الاعتراض على ما يحمله المتكلم من مسلمات ولقد ركز طه عبد الرحمن في مشروعه البلاغي الفلسفي الذي أورده في كتبه المختلفة على نقاط هي كالتالي:

مرتكزات طه عبد الرحمن



12-2-3- الحجاج عند أبي بكر العزاوي:

لقد أسهم أبوبكر العزاوي في هذا المجال بدوره حيث درس الحجاج في مستوى اللغة بدءًا من تعريف نظرية الحجاج وتوضيح مفاهيم الدلالات الحجاجية... وغيرها، وذلك من خلال كتابين اعتبرهما العزاوي يشكلان مشروعًا واحدًا في نظرية الحجاج هما كتاب اللغة والحجاج

¹ - عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، 1998م ص226.

والذي يدرس (الحجاج في مستوى اللغة أي انطلاقاً من الظواهر اللغوية " روابط لغوية، استعارة، أفعال لغوية..." وهو يصف الجوانب الحجاجية في اللغة العربية) والكتاب الثاني الخطاب والحجاج: والذي يدرس (الحجاج في مستوى الخطاب ويتممه)¹.
تعتبر الدراسات الحديثة في ميادين البلاغة الجديدة من الأعمال المحيية المكملة لما ساقه لنا تاريخ البلاغة العربية من جهود على يد الكثير من العلماء العرب الذين تمكنوا من إعادة قراءة البلاغة العربية بعين الخطابة الجديدة أو الفكر البلاغي الحديث والمعاصر مما أسهم في تطور الدرس الحجاجي العربي حالياً في شتى مجالاته.

13- الحجاج في الثقافة العربية:

لا شك أن للقرآن الكريم جدلية خاصة تابعة من حقيقة كون كتابه هداية واعجاز يملك حقائق كبرى يتوقف عليها استخلاف الانسان على هذه الأرض ويترتب عليها فوزه يوم القيامة.

فهو يحمل للناس العقيدة والشرعية، فكان من حكمته تعالى الترفق بعباده فإذا كان قد طلب من رسوله الكريم الرفق واللين في التعامل مع الناس في قوله تعالى: « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » سورة آل عمران الآية 159. فقد دعا إلى الترفق في الدعوة إلى الله وهي قاعدة أساسية من قواعد الخطاب لدى المسلم وقوله تعالى: « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » سورة النحل الآية 125. وقوله أيضاً « وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا » سورة الكهف الآية 54.

وحقيقة الجدل القرآني هو اقامة الحجة كمجادلة لخصومه في الاستدلال على وجود الله ووحدانيته²، فهو يلزم خصومه بحججه ومن ذلك ما حكاه تعالى عن خليله ابراهيم

¹ - العزاوي أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة النشر، بيروت لبنان، ط1، 2010م ص10.

² - محمد علي نوح قوجيل، أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط2 ص5.

عليه السلام في مجادلته لمدعي الألوهية فقال: « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخَيِّئُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » سورة البقرة الآية 258.

فالجدل أو الحجاج سنة إلهية فالله تعالى بين الأدلة والحجج على السنة الرسل والأنبياء حتى يتدارسها أولو الألباب فتواصلهم إلى طريق الصواب، بل فرضها القرآن الكريم طريقة لمن علم وفهم بأن التجادل بالتي هي أحسن بل كان أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب الحجاجي وطريقة ترتيبه للأدلة - وقد أوتي جوامع الكلم هو تعليم لنا لطرائق الجدل أو الحجاج وهو الذي لا يحتاج إلى دليل أو برهان، ولذلك كان طريق ومنهج الصحابة أيضا - رضي الله عنهم - للاستدلال والمحااجة هو منهج النبي صل الله عليه وسلم¹.

ومن الانجازات العربية في مجال الحجاج:

- كتاب البيان والتبيين: الذي يشرح الحجاج اللغوي وآلياته.
- كتاب البرهان في وجوه البيان: لأبي الحسن اسحاق ابن وهب فيه بابا " الجدل والمجادلة".
- كتاب بلاغة الخطاب وعلم النص: لصلاح فضل ويعتبر من أوائل الكتب التي فصلت القول في بلاغة الحجاج

¹ - أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج ص 4.

الفصل الثاني

تقنيات الحجاج في سورة

يوسف

تمهيد

تميزت آيات القرآن الكريم بأساليب حجاجية تعتمد على أعمال العقل والتفكير والبرهان والحجة وذلك لرد الرأي برأي أقوى منه والحجة بحجة أبلغ منها، فكان القرآن الكريم أول كتاب قام بتعليم العرب كيفية استنباط الأحكام العقلية والمبنية على مقدمات صحيحة، فدعاهم إلى استعمال العقل من أجل التوصيل للحقائق واعتبره مبدأ أساسيا في الايمان الصحيح.

فكان القصص القرآني أحد أساليب الإقناع والتأثير، فيساق الدليل في شكل قصة فيها أدلة على بطلان الشرك وعبادة الأوثان بطريقة تهز العاطفة والوجدان، كما في سورة يوسف، فقد بدأت برؤيا النبي يوسف عليه السلام وانتهت بتفسيرها، فاستخدمت فيها تقنيات الحجاج بأنواعها.

1-تعريف السورة:

لغة: السورة من كلمة سار يوسف بمعنى سورة الحائط أو تسلق وأما السورة قال أحمد ورصن منور: المنزلة أو الفضل والعلامة وطال من البناء ¹.
اصطلاحًا: طائفة من آيات القرآن جُمعت وضم بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول المقدار الذي أراده الله تعالى لها ².

2-تعريف يوسف عليه السلام :

عن ابن عمر رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم خليل الله ³.
هي القصة الوحيدة التي قصها الله تعالى في سورة وحيدة من أولها إلى آخرها في القرآن وسلك في سردها التسلسل التاريخي وكانت أعجوبة وآية وإعجاز في التفصيل ⁴.

3-التعريف بسورة يوسف:

الاسم الوحيد لهذه السورة هو يوسف ووجه تسميتها ظاهر لأنها قصت قصة يوسف عليه السلام كلها، ولم تذكر قصته في غيرها، ولم يذكر سمه في غيرها إلا في سورة الأنعام وغافر، وفي هذا الاسم تميز لها من بين السور المفتحة بحروف " أ ل ر " ⁵، وهي السورة الثانية عشر من القرآن الكريم وعدد آياتها مائة وإحدى عشر، وكلماتها ألف وستمئة، وحروفها سبعة آلاف ومائة وستة وستون.

وهي إحدى السور المكية التي تناولت قصص الانبياء، وقد أفردت الحديث عن قصة بني الله يوسف بن يعقوب وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد

1 - أحمد ورصن منور، قاموس المنور (أندونيسيا 1997) ط 14 ص 677.

2 - محمد بن محمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، ط2، 1992 ص 285.

3 - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، قوله تعالى: لقد كان في يوسف، ج4، ص 149.

4 - محمود شبلي، حياة يوسف عليه السلام، دار الجيل، بيروت لبنان، د س، د ط، ص 9.

5 - ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس الجزء الثاني عشر)

1396هـ/1976م (ص 197.

من إخوته ومن الآخرين في بيت عزيز مصر وفي السجن وفي تأمر النسوة حتى نجاه الله من ذلك الضيق، والمقصود بها تسليّة النبي صلى الله عليه وسلم بما مر عليه من الكرب والشدة وما لاقاه من أذى القريب والبعيد¹.

وقصة يوسف عليه السلام خاصة سماها الله أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك والممالك والعلماء ومكر النساء والصبر على من أذى الأعداء، وحسن التجاوز عنهم بعد الاتقاء وغير ذلك².

وللسورة الكريمة أسلوب فذ فريد في ألفاظها وتعبيرها وأدائها وفي قصصها الممتع اللطيف، تسري مع النفس سريان الدم في العروق وتجري برقها وسلاستها في القلب جريان الروح في الجسد، فهي وإن كانت من السور المكية التي تحمل في الغالب طابع الإنذار والتهديد غلا أنها اختلفت عنها في هذا الميدان فجاءت طرية ندية في أسلوب ممتع لطيف سلس دقيق، يحمل جو الانس والرحمة والرأفة والحنان، ولهذا قال خالد بن معدان: « سورة يوسف ومريم يتفكه بها أهل الجنة في الجنة » وقال عطاء « لا يسمع سورة يوسف محزن إلا استراح إليها »³.
نزلت السورة الكريمة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد سورة هود في تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياة الرسول الأعظم حيث توالى الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين وبالأخص بعد أن فقد نصيره: زوجة الطاهر الحنون (خديجة) وعمه (أبو طالب) الذي كان له خير نصير وخير معين اشتد الأذى والبلاء على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى المؤمنين، حتى عرف ذلك العام بعام الحزن في تلك الفترة العصيبة من حياة الرسول الكريم.

وفي ذلك الوقت الذي كان يعاني فيه الرسول والمؤمنون الوحشة والغربة والانقطاع في جاهلية قريش كان الله سبحانه وتعالى ينزل على نبيه هذه السورة تسليّة له وتخفيف لآلامه،

¹ - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الجيل، بيروت، المجلد الثاني، د ط ، د ت ص35.

² - نحية من علماء التفسير وعلماء القرآن: التفسير الموضعي سورة القرآن الكريم، إشراف مصطفى مسلم، جامعة شارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الطبعة الأولى، المجلد الثالث (1431هـ / 2010م) ص503.

³ - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ص35.

بذكر قصص المرسلين وكان الله تعالى يقول لنبيه محمد: لا تحزن يا محمد ولا تتفجع لتكذيب قومك وايدائهم لك فإن بعد الشدة فرجا، وبعد الضيق مخرجا، أنظر إلى أخيك يوسف وتمعن ما حدث له من صفوف البلاء والمحن وألوان الشدائد والنكبات وما ناله من ضروب المحن، محنة اخوته وكيدهم له ومحنه رمية في الحب ومحنة تعلق امرأة العزيز به وعشقها له، ثم مرارته على نفسه بشتى طرق الفتنة والاغراء ثم محنة السجن بعد ذلك العز ورغد العيش، أنظر إليه كيف أنه لما صبر على الأذى في سبيلة العقيدة وصبر على الضر والبلاء نقله الله من السجن إلى القصر وجعله عزيزاً في أرض مصر وملكه خزائنها فكان السيد المطاع والعزيز المكرم وهكذا أفعّل بأوليائي ومن صبر على بلائي فلا بد أن توطد النفس على تحمل البلاء، اقتداء بمن سبقك من المرسلين¹، وقوله تعالى: « وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ » سورة النحل الآية 127.

وهكذا جاءت قصة يوسف الصديق تسليّة للرسول - صلى الله عليه وسلم - مما يلقاه وجاءت تحمل البشر والأنس والراحة والطمأنينة لمن سار على درب الأنبياء فلا بد للفرج بعد الضيق ومن اليسر بعد العسر وفي السورة دروس وعبر وعظات باللغات حافلات بروائع الأخبار العجيبة والأنبياء الغريبة.

هذا هو جو السورة وهذه إحياءاتها ورموزها تبشر بقرب النصر لمن تمسك بالصبر وسار على طريق الأنبياء والمرسلين، والدعاة المخلصين، فهي سلوى للقلب، ولبسم الجروح، وقد جاءت عادة القرآن الكريم بتكرير القصة في مواطن عديدة بقصد العضة والاعتبار، ولكن بإيجاز دون توسع لاستكمال جميع حلقات القصة والتشويق إلى سماع الأخبار دون سآمة أو ملل، وأما سورة يوسف فقد ذكرت حلقاتها هنا متتابعة بإسهاب وإطناب ولم تكرر في مكان آخر كسائر قصص الرسل، لتشير لإعجاز القرآن في المجلد والمفصل، وفي حالتي الإيجاز والإطناب فسبحان الملك العلي الوهاب².

1 - المرجع نفسه ص 35 - 36.

2 - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ص 36.

إن لسورة يوسف موقعًا خاصًا، فطالما اشتاقت إلى سماعها مرة بعد مرة ولطالما تفتحت القلوب لها، والآذان لنغماتها الحلوة، وإن لها نغمًا علويًا خاصًا بها، وإنك لتحس فيها بيد القدر الإلهي تحرك الحوادث ولترى فيها الإنسان يريد ويقدر ومن فوقه عناية إلهية غالبية تبلغ من هذا الإنسان ما تريد لا ما يريد وتصل بالأمور إلى عواقبها ونهايتها المرسومة المقدر، طالما هزت المشاعر والعواطف، وحركت الضمائر وهي تجول بنا في عالم الحياة الإنسانية بحوادثها ووقائعها ومشاعرها وعواطفها وأفكارها وعقائدها.

إن الله تعالى يقص فيها قصة حياة الإنسان أحسن القصص،، إنها قطعة من الحياة بعروقتها النابضة ومشاعرها المتأججة، ونوازع الخير والشر فيها، إننا نرى فيها أنفسنا ولكن نرى مع ذلك يد القدر ونخش أثرها فينا وفي أعمالنا إننا نراها تخط في حوادث مصيرنا، وتبلغ بنا الغايات المقدر، إنها تفتح أمامنا أفق القدر لنجعل إرادتنا من إرادة الله، منفذة لقضائه، منسجمة مع غايات قدره التي هي الخير المحض، فنجمع بذلك بين الطاعة والإرادة والعمل والتناؤل بالمستقبل، ذلك هو السبب الذي يجعل سورة يوسف هوى خاصًا في نفوسنا وهي تأخذ بعقولنا وقلوبنا نحو الله¹.

4- تقنيات الحجاج وآلياته البلاغية واللغوية في سورة يوسف عليه السلام:

إن الاستعارة والمبالغة والطباق هي وسائل بلاغية من حيث أنها تساهم في الإمتاع والتأثير، ولكنها أيضا حجاجية من حيث أنها تعبر عن الحجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيرًا وإصابة².

عبد القاهر الجرجاني يؤكد ويفصل القول في المجاز ووظيفته الحجاجية، فنحن عندما نؤلف جملة فمن أجل أن نقول شيئًا وإن نبني معنى، فالمجاز ليس مجرد وسيلة تزيينية إضافية، بل هو مكون اساس في بناء المعنى، فالتشبيه والتمثيل والاستعارة أصول كبيرة كان جل

¹ - أحمد نوفل، سورة يوسف، دراسة تحليلية، دار الفرقان، الطبعة الأولى 1409هـ/1989م ص12.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2004م ص456.

محاسن الكلام - إن لم نقل كلها - متفرغة عنها، وراجعة إليها وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطار تحيط بها من جهاتها¹.

ومنها ثانيًا أننا عندما نؤلف معنى فإننا نخير " ألا ترى أن الخبر ول معاني الكلام وأقدمها، والذي تستند سائر المعاني إليه وتترتب عليه " وبهذا المعنى فالجملة المجازية عندما تؤدي وظيفة إخبارية، ومما ثالثًا أن الإخبار يعني الإثبات والنفي فإن مدار الفائدة على الإثبات والنفي².

وبهذا المعنى فالجملة المجازية عندما تؤدي وظيفة إخبارية فهي تثبت وتنفي، وهي إذ تقوم بالإثبات والنفي فهي تؤدي وظيفة حجاجية³.

وهنا يدعونا عبد القاهر الجرجاني إلى الملاحظة أن المجاز يقع تارة في الإثبات وتارة في المثبت وأنه إذا وقع في الإثبات فهو طالع عليك من جهة العقل، وباد لك من أفقه وإذا عرض في المثبت فهو آتيك من خاصية اللغة⁴.

وهو بهذا يميز بين المجاز العقلي والمجاز اللغوي ويوضح أن الوظيفة الحجاجية للجملة المجازية أوضح وأقوى في جملة يقع فيها المجاز في الإثبات أي عندما يكون المجاز عقليًا " وذلك أن الثبات إذا كان من شرطه أن يقيد مرتين كقولك إثبات شيء لشيء ولزم من ذلك أن لا يحصل إلا بالجملة التي هي تأليف بين حديث ومحدث عنه، ومسند ومسند إليه، علما أن مأخذه العقل، وأنه القاضي فيه دون اللغة لأن اللغة لم تأت لتحكم بحكم أو لتثبت أو لتنفي وتتقضى وتبرم، فالحكم بأن الضرب فعل لزيد أو ليس بفعل له، وإن المرض صفة له أو ليس بصفة له شيء يصنعه المتكلم ودعوى يدعيها وما يعترض على هذه الدعوى من تصديق أو

¹ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، شرح وتعليق وتحقيق، محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ/1991م ص26.

² - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص 338.

³ - حسن مودن، حجاجية المجاز والاستعارة، مقال ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، اعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، اريد الاردن ج3، الحجاج وحوار التخصصات، ط1، 2010، ص 156.

⁴ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص 346.

تكذيب واعتراف أو إنكار تصحيح أو إفساد فهو اعتراض على المتكلم وليس للغة من ذلك سبيل ولا منه في قليل أو كثير.

عندما يقع المجاز في الإثبات فإن الأمر يتعلق بدعوى يدعيها المتكلم وتكون صادرة عن عقل وتخاطب عقل المخاطب " فأما إذا كان المجاز في المثبت كنحو قوله تعالى: « فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ » سورة فاطر الآية 09، فإنما كان مأخذه اللغة لأجل أن طريق المجاز بأن أجرى اسم الحياة على ما ليس بحياة تشبيها وتمثيلاً، ثم اشتق منها - وهي في هذا التقدير - الفعل الذي هو أحيا واللغة هي التي اقتضت أن تكون الحياة اسماً للصفة التي هي ضد الموت، فإذا تجوز في الاسم فأجرى على غيرها فالحديث مع اللغة فاعرفه¹، ومن هنا يتبين لنا أن المجاز اللغوي وظيفته الحجاجية تتعلق باللغة لا بالعقل.

ويقول السكاكي: إن المجاز العقلي يسمى مجازاً في الإثبات لتعلقه بالإثبات، ويسمى مجازاً حكيمياً لتعلقه بالحكم²، والمجاز بالإثبات في نظره ليس إلا استعارة بالكناية ففي قول المتكلم: " أنبت الربيع البقل " يقول أهل المجاز العقلي: إن هناك إثبات فعل الإنبات للربيع والواقع أن المتكلم لم يفعل شيئاً آخر غير أن جعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه، على ما عليه مبني الاستعارة كما عرفت، إذ جعل نسبة الإنبات إليه قرينة الاستعارة وعلى هذا الأساس يقول السكاكي: " أجمل المجاز كله لغوياً " ³.

إن السكاكي عندما يعيد النظر في مفهوم المجاز العقلي فليس معنى ذلك أنه يجرد المجاز من وظيفته الحجاجية بل الأصح أنه لا يميل إلى الفصل بين نظام العقل ونظام اللغة ويجعل المجاز كله لغوياً ووظيفته هي وظيفة حجاجية تتصل بالعقل واللغة والاعتقاد والمشارك بين المتخاطبين وتتضح هذه الوظيفة الحجاجية عندما يربط بين مفهوم الاستدلال ومفهوم البيان ويوضح أن البيان الذي يحل محل المجاز مكون أساسي في نظم الدليل " فمن أتقن أصلاً

¹ - المرجع نفسه ص 344 - 345.

² - السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2008م ص395.

³ - السكاكي، مفتاح العلوم ص401.

واحدًا في علم البيان كأصل التشبيه والكناية أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقه كتحصيل المطلوب به، أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل " 1 ، فوظيفة البيان حجاجية تتعلق بكيفية توظيف وجوه البيان من تشبيه وكناية وغيرهما في سياق تخاطبي معني من أجل تحصيل المطلوب 2.

وبعبارة أخرى فالتشبيه والكناية والاستعارة وغيرها من وجوه البيان هي من مسلك الاستدلال والحجاج، كما يتضح أن الجملة المجازية تدعي دعوة وتثبت أو تنفي أمرًا ووظيفتها لا يمكن أن تكون إلا استدلالية حجاجية وبالقابل للاستدلال " ليس عملية عقلية استنباطية محضة بل عملية خطابية لذلك قد لا يخرج الاستدلال عن دائرة التشبيه والاستعارة وبشكل أعم عن دائرة المجاز " 3.

ويؤكد السكاكي على أن الاستدلال البياني أو المجازي أكثر تأثيرًا من غيره فإن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر 4.

وتعود هذه القوة التأثيرية للمجاز إلى أنه لا يؤدي وظيفة حجاجية استدلالية خالصة، أي أنه لا يخاطب في المخاطب عقله وذهنه فحسب بل يخاطب النفس والانفعال أيضًا ولا شك أن قوة المجاز أو قيمته تعود عند البلاغي إلى قدرته على التأثير في الوقت نفسه على عقل المخاطب ونفسيته، ولهذا نجد الجرجاني ثم السكاكي بقدر ما يتوسعان في ربط المجاز والادعاء والاستدلال بما يفيد تعلق المجاز بالعقل بقدر ما يقدمان إشارات كثيرة تفيد تعلق المجاز بالنفس وتشد على وظيفته النفسية وهذا ما يسمح لنا بالقول إن الوظيفة الحجاجية للمجاز لا تعني

1 - السكاكي، مفتاح العلوم ص435.

2 - حسن مودن، حجاجية المجاز والاستعارة ص158.

3 - الحبيب اعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مقال ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالات، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، اعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، غرند الأردن ج3، الحجاج وحوار التخصصات ط1 (1431هـ/2010م) ص 43.

4 - السكاكي، مفتاح العلوم ص412.

سعيه على إقناع عقل المخاطب بدعوى ما فقط بل هي تعني سعيه إلى بلوغ النفس أيضًا وجعلها تقتنع بهذه الدعوى وتتبناها فالمجاز أنجع وسيلة للتأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب¹.

4-1- تقنيات الحجاج وآلياته البلاغية

4-1-1- الكتابة والمجاز المرسل:

فمثلا في قوله تعالى: « اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ » سورة يوسف الآية 09.

كناية عن خلوص محبته لهم ويكون المراد يخلو وجه أبيهم إقبالهم عليهم واصطفائهم بالمحبة ولا يتأتى هذا إلا بإقباله وجهه عليهم وإقبال يعقوب عليه السلام بوجهه على أبنائه " إخوة يوسف " لازم لخلوص محبته لهم، وانشغاله بهم فيتوصل عن طريق اللازم وهو الإقبال بالوجه عليهم إلى الملزوم وهو خلوص المحبة ففيه انتقال من اللازم إلى الملزوم ويكون الوجه هنا بمعناه المعروف وهو مقيد بهذه الكناية التي يتوصل إليها عن طريق اللازم وهو الإقبال بالوجه إلى الملزوم وهو خلوص المحبة².

فكان ذريعتهم لقتل يوسف مقمة تقضي إلى نتيجة واحدة فعند ذلك يخلص ويصفو لأخوة يوسف حب أبيهم فيقبل عليهم قال الرازي: المعنى أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا فقدته أقبل علينا بالمحبة والميل³.

ويمكن تمثيل هذه الكناية حجاجيًا كما يلي:

مقدمة ← نتيجة.

¹ - أبو العلاء جلال الدين الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص221.

² - عمر محمد عمر باحاذق، الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف - عليه السلام - دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى 1417هـ/1997م ص 75.

³ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م، ج18 ص 94.

(اقتلوا يوسف)

(يخل لكم وجه أبيكم)

وإذا نظرنا وتأملنا هذه الآية في علاقتها في الآية التي قبلها قوله تعالى: « إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُبَيِّنَا مِنْهُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » سورة يوسف الآية 08.

نرى أنها جملة مستأنفة استئنفاً بيانياً لأن الكلام المتقدم يثير سؤالاً في نفوس السامعين عن غرض القائلين مما قالوه، فهذا المقصود للقائلين وإنما جعلوا له الكلام السابق كالمقدمة لتتأثر نفوس السامعين، فإذا ألقى إليها المطلوب كانت سريعة الامتثال إليهم، وهذا فن من صناعة الخطابة، أن يفتح الخطيب كلامه بتهيئة نفوس السامعين لتأثر بالغرض المطلوب فإن حالة تأثر النفوس تغني عن الخطيب غناء جمل كثيرة من بيان العلل والفوائد والخلو: حقيقة الفراغ وهو مستعمل هنا مجازاً في عدم التوجيه لمن لا يرغبون توجهه له فكأن الوجه خلا من أشياء كانت حالة فيه، واللام في قوله لكم لام العلة أي يخل وجه أبيكم لأجلكم بمعنى أنه يخلو مما عداكم فينفرد لكم¹.

وفي قوله تعالى: « قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ » سورة يوسف الآية 11، كناية عن الشفقة والحنان والمعنى: نحن لا نحافظ عليه فحسب بل يكون محل رعايتنا وعطفنا فالنصح مرحلة فوق الاشفاق والحب بل فيها معنى العطف والرحمة وزيادة².

قال المفسرون: لما أحكموا العزم ذكروا هذا الكلام وأظهروا عند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف وفي غاية الشفقة عليه ليستنزلوه في رأيه في تخوفه منهم وكأنهم قالوا: لم نخافنا عليه ونحن نحبه ونريد الخير به؟³.

¹ - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج12 ص222.

² - عمر محمد عمر باحاديق، الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف - عليه السلام - ص75.

³ - الصابوني، صفوة التفسير المجلد الثاني ص39.

إن أخوة يوسف - عليه السلام - قد اتخذوا من حبهم وحنانهم على أخيه يوسف حجة لإقناع أبيهم بأن يستأنهم عليه.

ومسار هذه الكناية حجاجيًا يكون بالشكل التالي:

مقدمة ← نتيجة.

(إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) (مَلِكٌ لَا تُأْمِنُ عَلَى يُوسُفَ)

* محبتهم وشفقتهم على يوسف * الوصول إلى إقناع أبيهم بستئمانهم على يوسف

وكذلك في قوله تعالى: « وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ » سورة يوسف الآية 56،

فقوله تعالى: « يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ » كناية عن تصرفه في جميع مملكة مصر فهو عند حلوله بمكان من المملكة لو شاء أن يحل بغيره لفعل فجلة يتبوا يجوز أن يكون حالاً من يوسف ويجوز أن تكون بياناً لجمله « مكنا ليوسف في الأرض »¹، وتعتبر هذه الكتابة حجة قوية وقول بليغ وتدل على المرتبة والمقام العالي ليوسف عليه السلام في مصر بعدما أكرمه الله تعالى وأصبح عزيز مصر.

ومثال ذلك قوله تعالى: « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ » سورة يوسف الآية 82، والتعبير مجاز مرسل علاقته محلية، قال البيضاوي: " أي أرسل إلى أهلها وسألهم عن القصة " ²،

أي: اسأل يا أبانا عما حدث أهل القرية التي كنا فيه وهي مصر فقد اشتهر أمر هذه السرقة فيهم، وسأل أصحاب العير الذين كانوا يأتون بالمسيرة (الطعام) معنا، وهذا المجاز مبالغة منهم في إزالة التهمة عن أنفسهم لأنه مشكوك فيهم وكانوا متهمين بسبب واقعة يوسف

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 13 ص 10.

² - القاضي البيضاوي، تفسير البيضاوي، مكتبة الحقيقة، اسطنبول، تركيا 1411هـ/1991م، ج3 ص 268.

عليه السلام ¹، ثم أكدوا صدقهم بقولهم: « وإنا لصادقون » فيما أخبرناك به من أنه سرق وأخذوه بسرقة.

فهذا المجاز تضمن حجة الأخوة في إقناع أبيهم ببراءتهم من تهمة السرقة ويفضي إلى نتيجة مفادها صدقهم فيما أخبروه من أمر ويمكن تمثيله بهذا الشكل:

مقدمة ← نتيجة.

(وسائل القرية) (إنا لصادقون)

نستنتج من خلال ما سبق أن المجاز يمثل نمطاً من التعبير له القدرة الكبيرة والفعالية المؤثرة في إقناع الملتقي واستمالته، يساعد على الافتتان في التعبير، وتدعوا إليه المبالغة في المعنى فهو من الوسائل البلاغية التي تمثل عاملاً مهماً يرفد عملية الحجاج، خاصة إذا كانت هناك مهارة في تخير العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجاز، بحيث يكون المجاز مصور للمعنى أحسن تصوير ففي قوله « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ » مجاز اختزل اللفظ وأفصح عن المعنى فسؤال القرية مجاز عن سؤال أهلها ولا يكون ذلك إلا بالإرسال أو المراسلة أو الذهاب إليهم، إن أراد الاستنباط ²، فأطلق لفظ القرية وأريد أهلها والعلاقة محلية أو مكانية.

4-1-2- التشبيه:

يكاد يقع إجماع من اللغويين والبلاغيين على أن التمثيل والتشبيه لفظان مترادفان ³، فهما متفقان في معنى ولا فرق بينهما فالتشبيه لغة: تشبه الشيء بالشيء أي مثله به وقرنه ⁴، غير أن هناك من يرى أن تشبيه أعم من التمثيل، فالجرجاني عنده كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً لأن التشبيه أعم والتمثيل أخص منه والتشبيهات عنده " تراها لا يقع بها اعتداد ولا

¹ - وهيئة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى 1418هـ/1998م، ج 13 ص 44 .

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 13 ص 41.

³ - ابن الاثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق، احمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة، د ث، ص 219.

⁴ - الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى 1992م ص 15.

يكون لها موقع من السامعين ولا تهز ولا تحرك حتى يكون الشبه مفردًا بين شيئين مختلفين في الجنس "، فكلما كان التباعد بين الشئيين في التشبيهات شديدًا كلما " كانت إلى النفوس أعجب وكانت النفوس لها أطرب وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب " ¹، ويلفت الجرجاني الانتباه إلى القوة التأثيرية التي للتمثيل في فنون القول وضروبه، وهذا ما يعتمد إليه المرسل لبيان الحال، والإقناع بما يذهب إليه فالتمثيل هو عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاجتماع لبيان حججه ².

وعند الإمام القزويني: " التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور " ³. وقال السيوطي في المزهري: " فبحسن اللفظ واختلافها على المعنى الواحد ترصّع المعاني في القلوب وتلتصق في الصدور ويزيد حسنه وحلاوته وطلاوته بضرب الأمثلة والتشبيهات المجازية " ⁴.

وقال البيضاوي: " يضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فغنه أوقع في القلب وأقنع للخصم الألد ولأنه يريك المتخيل محققًا والمعقول محسوسًا والأمر ما أكثر الله في كتبه الأمثال وفشت في كلام الأنبياء والحكماء ⁵.

قال الله تعالى: « وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » سورة يوسف الآية 06، ففي قوله « كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ » تشبيه مرسل مجمل ⁶.

1 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص 118 - 119.

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص 497.

3 - الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة ص 142.

4 - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهري في علوم اللغة، شرح وضبط وتصحيح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل وإبراهيم وعلي محمد الجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ج، 1408هـ/1987م ص 37-38.

5 - البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية ط 1، 1999م، ج 1 ص 186.

6 - الصابوني، صفوة التفسير ج 12 ص 41.

وفي هذا التشبيه تذكير ليوسف بنعم سابقة... ثم إن كان المراد بإتمام نعمة النبوة فالتشبيه تام وإن كان المراد من إتمام النعمة الملك فالتشبيه في إتمام النعمة على الإطلاق¹.

روي البخاري وأحمد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » وهذا التشبيه إثبات من الله عز وجل على أنه أتم نعمة النبوة على يوسف وعلى جده إسحاق وجد أبيه إبراهيم وخصهم بالشرف لأنه سبحانه وتعالى عليم بخلقه وبمن يستحق الاجتباء والاصطفاء فهو أعلم حيث يجعل رسالته حكيم في صنعه وتدبيره يفعل الأشياء كما ينبغي².

ففي قوله تعالى: « إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ » سورة يوسف الآية 31، هذا قول النسوة لما رأين يوجد في البشر³، حيث شبهنه بواحد من الملائكة بطريقة حصره في جنس الملائكة تشبيهاً بليغاً مؤكداً، وهذا التشبيه من تشبيه المحسوس بالمستحيل⁴.

فإنهن لم يرين في البشر مثله ولا قريباً منه فإنه - عليه السلام - قد أعطي شطر الحسن كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الاسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بيوسف - عليه السلام - في السماء الثالثة فقال: " فإذا هو قد أعطى شطر الحسن " وهذا التشبيه على السنة النسوة أكد به أن يوسف ما هو إلا ملك كريم من الملائكة تمثل في صورة بشر والمقصود إثبات الحسن العظيم له لأنه استقر في الطباع إنه لا حي أحسن من الملك وأن لا حي أقبح من الشيطان فلما رأت النساء روعة جمال يوسف شبهنه بالملك ونفين عنه البشرية لغرابة جماله وروعة حسنه⁵، والأقرب عند الرازي: " أن النسوة لما رأين عليه هيبة

1 - ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 12 ص 217.

2 - وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج 12 ص 204 - 208.

3 - الصابوني، صفوة التفسير ج 12 ص 46.

4 - ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 12 ص 263.

5 - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ج 12 ص 254 - 255.

النبوة والرسالة وعلامة التطهر والعفة نفين عنه آثار الشهوة البشرية والصفات الإنسانية وأثبتن له ظهر الملائكة¹.

والتشبيه القرآني يعد من أهم طرق الاستدلال والمحاجة في سبيل الوصول إلى الاقناع فيسوق الخبر مقرونا بالحجة ليلقى قبولا واستجابة من المتلقي فيدرك المقصود من إدراك العلاقة بين المشبه والمشبّه به.

ومما يقيم الحجة في التشبيه أن المشبه به معروف ومسلم به لدى الجميع فالاعتناع بأن لا حي أحسن من الملك يؤدي بالاعتناع إلى حسن يوسف الباهر وظهره فجماله غير معهود في البشر وتشبيه يوسف بالملك "إنما كان لما جمع الله له ن الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة التي هي من خواص الملائكة"².

ويمكن تمثيل حجاجية التشبيه بهذا الشكل:

ن: يوسف يملك الكمال والجمال الملائكي.

ح	↑	-	"إن هذا إلا ملك كريم"
ح	↑	-	لا حي أحسن من الملك

4-1-3- الاستعارة:

هي إحدى آليات الحجاج البلاغية وقد عرفها الجرجاني: "أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم"³.

¹ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م، ج 18، ص 129.

² - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ص 252.

³ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص 27.

الاستعارة عند الجرجاني هي استعمال اللفظ في غير محله ليزيد من بلاغة حجته أما عمر أوكان فاقد عرف الاستعارة الحجاجية بكونها " تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي " ¹.

وهي مجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أو هي تشبيه سكت عن أحد طرفيه وذكر فيه الطرف الآخر فالمتكلم يستعير لفظ المشبه به ليستعمله للدلالة على المشبه ثم يرجعه إلى مجاله الأصلي.

وبالعودة إلى تراثنا العربي نجد أن عبد القاهر الجرجاني أول من استخدم أدوات حجاجية لوصف الاستعارة...

فالاستعارة ليست مجرد زينة أو محسن بديعي، بل هو مكون بنيوي للمعنى وفوق ذلك لها القدرة أن تجعل المعنى أكثر حيوية، كان هناك خاصية نفسية انفعالية تلازم القول الاستعاري، فالاستعارة لا تسمح بأن يشارك الملتي متكلمة في الفكرة أو في الدعوى التي يدعيها فقط، بل هي تدفعه إلى أن يشارك الملتي متكلمة في الفكرة أو في الدعوى يدعيها قط، بل هي تدفعه إلى أن يشاركه إحساسه وانفعاله، فحجاجية الاستعارة إذن تعني لها وظيفة مركبة يرتبط فيها العقل بالإحساس والفكري بالنفسي.

بمعنى أن الاستعارة مفيدة عند الجرجاني هي هذه التي تتجح في الحجج بطرقها الخاصة بين قطبين أساسيين في كل إقناع: العقل والنفس، فهي تمتع العقل وتصيب الفؤاد ².

هذا الدور الفعال للاستعارة جعل البلاغيين الجدد يعتبرونها من أخطر الوسائل الحجاجية لما لها من طاقة وقدرة على استمالة المتلقي وإقناعه، فهي أصبحت مقومًا حجاجيًا بل برهانيًا لا غنى عنه في مجال الإنسانيات واحتلت مكانًا مرموقًا منه ³.

¹ - عمر أوكان، اللغة والخطاب أفريقيًا الشرق المغرب 2001 ص 134.

² - حسن المودن، حجاجية الاستعارة والمجاز ص 166 - 167.

³ - محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية غربية، منشورات دار الأمان، الطبعة الأولى، الرباط، المغرب، 2005م ص 458.

والاستعارة في القرآن الكريم هي استعارة حجاجية لأنها من " الأدوات المضلة إليه في التعبير عن معانيه " ¹.

ودعوة مخاطبه إلى الاقناع والتصديق بما جاء فيه فالخطاب القرآني يعتمد إلى هذه الصورة التي رسمها فيعطيه ألوانها وظلالها، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة فالحوار، فإذا هي شاخصة تسعى ².

وتتجلى الاستعارة في سور يوسف - عليه السلام - في قوله تعالى: « إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » سورة يوسف الآية 04، إذا شبّهت النجوم والشمس والقمر بقوم مصلين، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو السجود، ثم أضيف لازم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة الدالة على الاستعمال المجازي في الاستعارة هي قرينة السجود، وهي قرينة تخيلية إذ كيف يتصور السجود من الكواكب والشمس والقمر غلا على باب التخيل ثم القرينة الأخرى وهي جمعهم جمع العقلاء بالضمير " هم " قرينة أخرى والضمير " هم " ترشيح والترشح ذكر لازم من لوازم المشبه به ³.

والشاهد هنا أن هذه الاستعارة وصفت فعل غير العاقل وهو السجود للدلالة على أنها رؤيا إلهام لا مجرد أضغاث أحلام، قال بن عباس: " رؤيا الأنبياء وحي " والأحدى عشر كوكبًا إخوته الأحدى عشرًا نفرًا والشمس والقمر أبوه وأمه لأن الكواكب لا تسجد في الحقيقة ⁴. وإنما أخبر يوسف - عليه السلام - أباه بهذه الرؤيا لأنه علم بالإلهام أو بتعليم سابق من أبيه أن للرؤيا تعبيرًا ، وعلم أن الكواكب والشمس والقمر كناية عن موجودات شريفة وأن سجود المخلوقات الشريفة له كناية عن عظمة شأنه، ولعله علم أن الكواكب كناية عن موجودات

¹ - عبد العزيز بن صالح العمارة، التصوير الباني في حديث القرآن عن القرآن، دراسة بلاغية تحليلية المجلس الوطني للإعلام، الإمارات، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م ص 67.

² - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ص 197.

³ - عمر محمد عمر باحادق، الدلالة الاعجازية في رحاب سورة يوسف ص 74.

⁴ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ج 12 ص 205 - 206.

متماثلة وأن الشمس والقمر كناية عن أصلين لتلك الموجودات فاستشعر على الإجمال دلالة رؤياه على رفعه شأنه فأخبر بها أباه¹.

ويمكن تمثيل المسار الحجاجي لهذه الاستعارة باعتبارها الأقوى قولاً وحجة في السلم الحجاجي كما يلي:

ن: علو شأن يوسف ورفع مقامه في المستقبل.

- سجود العقلاء له.

- "إنني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين".

- السجود دلالة الاحترام والتعظيم.

وفي قوله تعالى: « وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ » سورة يوسف الآية 18.

ففي الآية الكريمة استعارة وصف بالمصدر المبالغ كأنه نفس الكذب وعينه، فالدم الذي في القميص ليس حقيقي من جهة مخالفة لونه لون ما هم فيه، وجاءوا على قميصه بدم كذب أي مكذوب مفترى وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تما عليه من المكيدة، وهو أنهم عمدوا إلى سلخه فيما ذكره مجاهد والسدى وغير واحد، فذبجوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب، وقد أصابه من دمه، ولكنهم نسوا أن يخرقوا فلهذا لم يرج هذا الضيع على نبي الله يعقوب بل قال لهم معرضاً عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه " بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ " سورة يوسف الآية 18.

قوله تعالى: « فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًّا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ » سورة يوسف الآية 31.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير ص 208 - 209.

" سمعت بمكرهن ": استعير المكر للغيبة لشبهها له في الإخفاء¹.

والمعنى: أي باغتيابهن لها، وإنما سمي مكرًا لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره، فكما أن الغيبة تذكر على سبيل الخفية، أي باغتيابهن لها، فكذلك المكر والنسوة قد أردن من هذا القول المكر والحيلة بعد أن بلغهن خبر حسن يوسف فأحببن أن يرينه فقلن ذلك لأنهن أردن إغصاب امرأة العزيز لتعرض عليهن يوسف، فيفزن بمشاهدته²، ونلاحظ أن لفظ المكر استعير للغيبة في هذه الاستعارة.

- اقتناع امرأة العزيز بأن يرى النسوة جمال يوسف.

- بلوغها خبر مكرهن وغيبتهن.

- " فلما سمعت بمكرهن ".

ن

ح

وكذلك قوله تعالى: « وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ » هي استعارة حيث استعار لفظ القطع عن الجرح أي جرحن أيديهن³، فقد جرحن أيديهن بالسكاكين ولم يشعرن بالألم لشغل قلوبهن بيوسف، ودهشتهم من جماله الرائع وهكذا يفعل المدهوش الذي اجتذب نظره حادث مؤثر أو منظر غريب أو شيء مثير⁴.

إذن: أريد بالقطع الجرد أطلق عليه القطع مجازًا للمبالغة في شدته حتى كأنه قطع قطعة من لحم اليد⁵.

1 - الصابوني، صفوة التفسير ص 48.

2 - عمر محمد عمر باحادق، الدلالة الاعجازية في رحاب سورة يوسف ص 74.

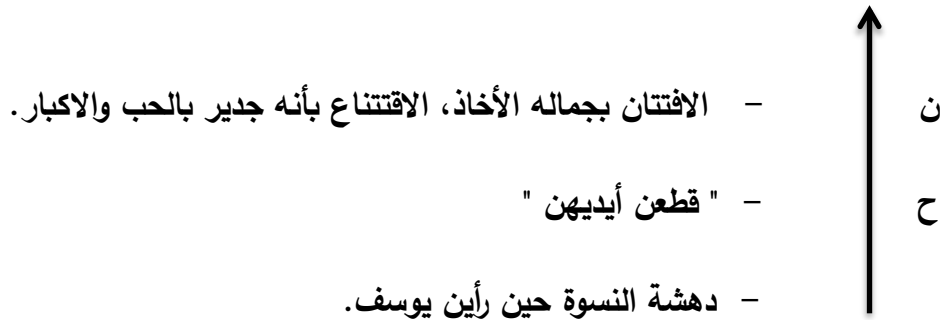
3 - الصابوني، صفوة التفسير ص 48.

4 - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ص 251 - 254.

5 - ابن عاشور، التحرير والتنوير ص 263.

فهذه الاستعارة بما هيا عليه مبالغة تجعل المتلقي يتصور موقف اندهاش النسوة حين رأين يوسف، فتقطع الأيدي دون شعور دليل على الانبهار والدهشة والمجاز هنا فيه من الحجة ما يثبت ويقنع بأن يوسف في غاية الجمال والحسن والكمال " فهو حقيقة بأن يحب لجماله وكماله " ¹.

تمثيل حجاجية هذه الاستعارة بالشكل الآتي:



وفي قوله تعالى: «أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ» سورة يوسف الآية 44.

هذا القول من أبلغ أنواع الاستعارة والطفها، فإن الأضغاث هي المختلط من الحشيش المضموم بعضه إلى بعض فشبه اختلاط الأحلام وما فيها من المحبوب والمكروه والخير والشر باختلاط الحشيش المجموع من أصناف كثيرة ².

والشاهد في هذه الاستعارة الحجاجية أنها شبهت الأحلام بمجموعة الحزم والحشائش التي لا تناسب بينها للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان والكذب والزيف وبالتالي فالاستعارة تحمل هؤلاء الكهنة والعلماء تبريراً لعجزهم عن تأويل رؤيا الملك وتمثل مقدمة للاعتذار بالجهل لتأويل الرؤيا ³ بهذا الشكل الحجاجي:

¹ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ص 255.

² - الصابوني، صفوة التفاسير ص 55.

³ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ص 274.



(أضغاث أحلام)

(الاعتذار بالجهل والعجز عن تأويل الرؤيا)

تظهر أهمية الاستعارة ولقد حاول عبد القادر الجرجاني أن يجمع الأغراض التي تحققها الاستعارة المفيدة قائلًا: " من الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدًا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ... فإنك لترى بها الجهاد حيًا ناطقًا والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرسة المبينة، والمعاني الحقيقية بادية جلية... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون"¹.

4-1-4- البديع:

يستعمل المرسل أكالاً لغوية تصنف بأنها أشكال تنتمي إلى المستوى البديعي، وأن دورها يقف عن الوظيفة الشكلية وهذا الرأي ليس صحيحًا، إذ أن لها دورًا حجاجيًا لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الإقناع والبلوغ مبلغه الأبعد حتى لو تخيل الناس غير ذلك والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات ومليئة بالشواهد التي تثبت أن الحجاج من وظائفها الرئيسية، وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها وإن كان لا يمنع المرسل من أن يبدع كيفما شاء².

يمكن للمحسنات البديعية أن تؤدي وظيفة حجاجية وفي هذا الصدد يقول صابر الحباشة: "غن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، بيدوا معتادًا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة وعلى العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة

¹ - الجرجاني، أسرار البلاغة ص 33.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص 51.

المخاطب، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب ويعود ذلك إلى تقصيره على أداء دور الإقناع¹.

هناك نوعان من المحسنات البديعية منها محسنات تزيينية زخرفية متعلقة بالأسلوب ومحسنات حجاجية حجاجية متعلقة بالإقناع.

ومن المحسنات البديعية الحجاجية المتعلقة بالإقناع المتواجدة في السورة هو: الطباق

ويعرف الطباق على أنه الجمع بين متضادين أو معنيين متقابلين في الملفوظات والمطابقة في الكلام هي: الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة... مثل الجمع بين السواد والبياض²، فالطباق أو المطابقة يقوم على إيجاد علاقة ظاهرة أو خفية بين معنيين متضادين في جملة واحدة مع وجود نوع من التناسب بينهما يصوغ الجمع بينهما لإفادة غرض ما ومثال ذلك

قوله تعالى: « إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ » سورة يوسف الآية 26.

قوله تعالى: « وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ » سورة يوسف الآية 27.

تضمن الآيتان قول الشاهد " وسمي قوله شهادة لأنه يؤول إلى إظهار الحق في إثبات اعتداء يوسف عليه السلام على سيده أو دحضه وهذا من القضاء بالقرينة البينة لأنها لو كانت أمسكت ثوبه لأجل القبض عليه لعاقبه، لكان ذلك في حال استقباله له إياها فإذا أراد انفلات منها تخرق قميصه من قبل وبالعكس أن كان إمساكه في حال فرار أو إعراض ولا شك

¹ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج ص 51.

² - أبو هلال العسكري، الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1989م ص 16.

أن الاستدلال بكيفية تمزيق القميص والظاهر أن هذا الشاهد كان يظن صدقها، فأراد أن يقيم دليلاً على صدقها، فوقع عكس ذلك كرامة ليوسف - عليه السلام -

وفي هذا الطباق قيمة حجاجية تظهر في "زيادة (وهو من الكاذبين) بعد (فصدقت) وزيادة (وهو من الصادقين) بعد (فكذبت) وفي هذا تأكيد لزيادة تقرير الحق " ¹.

والجمع بين هذه المعاني المتضادة (صدقت والكاذبين / كذبت والصادقين)، أثبتت وبيّنت ادعاء امرأة العزيز وأثبتت براءة نبي الله يوسف - عليه السلام -

قوله تعالى: « وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ » سورة يوسف الآية 43.

جمع الطباق بين المعاني المتضادة " سمان وعجاف " " خضر ويابسات " قال الزمخشري: تأويل يوسف - عليه السلام - البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بأن العام الثامن يجيء مباركاً خصيباً كثير الخير غزير النعم، وذلك من جهة الوحي ².

تتجلى حجاجية الطباق في إثبات قدرة يوسف عليه السلام على تفسير وتأويل هذه الرموز الغامضة (عجاف * سمان / خضر * يابسات) في منام الملك وهي من وحي الله وإلهامه وتلك معجزة تدل على صدق نبوة يوسف - عليه السلام - ³

الطباق من المحسنات البديعية المعنوية التي تساهم في توضيح المعنى وتزيده قوة فالأشياء بضدها تتضح.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير ص 258.

² - جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق، محمد مرسي عامر، دار المصنف، القاهرة، د ث الجزء الثاني ص 477.

³ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ص 279.

4-1-5-التفريع " تقسيم الكل إلى أجزاء ":

ويسمى كذلك بتقسيم الكل إلى الجزء فقد يذكر المرسل حجته كليا في أول الأمر ثم يعود على تعداد أجزائها إن كانت ذات أجزاء وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه¹.

ومن الأمثلة قوله تعالى: « قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (14) » سورة يوسف الآية من (11 - 14).

لما تواطأ إخوة يوسف على أخذه وطرحه في البئر، جاؤوا أباهم يعقوب - عليه السلام - فقالوا: ما بالك لا تأمنا على يوسف، وتخافنا عليه، ونحن له ناصحون، أي نحبه ونشفق عليه ونريد له الخير ونخلص له النصيح، وهم يريدون خلاف ذلك لحسدهم له، بعدما علموا من رؤيا يوسف وأدركوا حب أبيه له، لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة... أرسله معنا في الغد حين نخرج كعادتنا إلى المرعى في الصحراء يرتع أي يأكل ما يطيب له من الفاكهة ويلعب ويشاركنا في السباق بالسهم وإنا له لحافظون من أي أذى ومكروه يصيبه ونحفظه من أهلك فأجابهم يعقوب - عليه السلام - بقوله: إني ليحزنني ويؤلمني ذهابكم به وفراقه لي على أي نحو وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيكم فيأتيه ذئب فيأكله وأنتم عنه غافلون لا تحسون به².

ولقد اعتذر يعقوب - عليه السلام - بحجتين: أن فراقه إياه مما يحزنه وخوفه عليه من الذئب إذا اغفلوا عنه لقلة اهتمامهم به وكأنه لقنهم الحجة وشدة الحذر دفعته لقول ذلك فأجابوه

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص 494.

² - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ص 221.

في الحال: والله لئن أكله الذئب ونحن جماعة أشد ندافع عنه لكننا خاسرين أي هالكين عاجزين لا خير فينا ولا نفع¹.

إن القضية التي طرحها إخوة يوسف هي بمثابة النتيجة وكل جزء من أجزائها يدعم هذه القضية هو بمثابة حجة تخدم هذه النتيجة.

والحال نفسه بالنسبة لقول يعقوب - عليه السلام - فقد أظهر لهم سبب امتناعه من خروج يوسف معهم وحججه في ذلك أنه يحزنه بعده عنه أياماً وبأنه يخشى عليه الذئاب إذا كان يوسف حينئذ غلاماً صغيراً².

فقد تعاضدت حجج إخوة يوسف من أجل خداع أبيهم والتظاهر بغاية المحبة ليوسف والشفقة عليه وهم يعلمون أن أباهم كان يحب يوسف محبة شديدة ويحرص عليه وفعلاً توصلوا إلى مبتغاهم فأرسل يوسف معهم مع أنه غير مقتنع بكلامهم كل الاقتناع.

أما حجج يعقوب فقد كانت لرد طلبهم ودفع إصرارهم خوفاً على يوسف منهم وتضمنت إجابته - بحكم العاطفة الأبوية المألوفة - تحذيراً على التقصير.

تقصيرهم في حق أخيه وتنبههم على شدة الصون والحفظ وإشعاراً بحب ابنه يوسف وعدم تحمله الصبر على فراقه وهذا أمر طبيعي³.

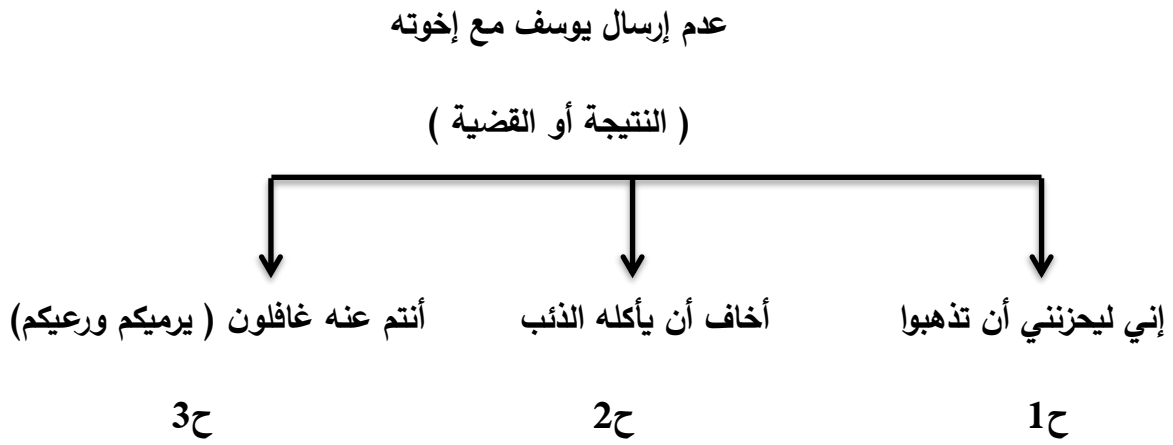
والمخطط التالي يمثل حجج الطرفين كما يلي:

¹ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ص 222.

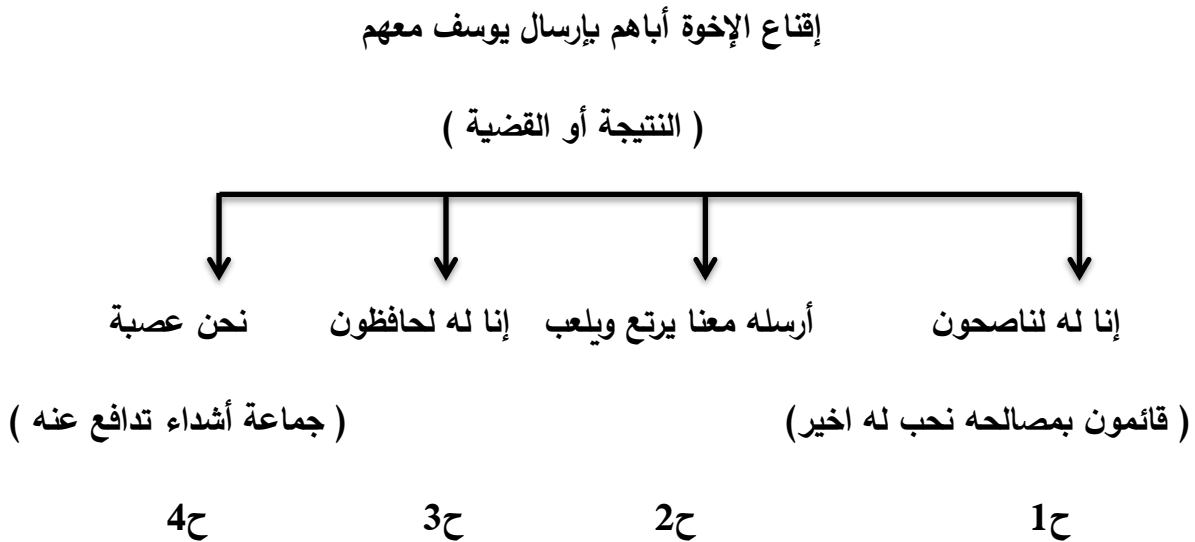
² - ابن عاشور، التحرير والتنوير ص 230.

³ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ص 224.

المخطط الأول:



المخطط الثاني:



قول الله تعالى: « وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ » سورة يوسف الآية 65.

الكلام هنا توثيق الصلة بما قبله فبعد أن ذكر الله تعالى مطالبتة يوسف عليه السلام إخوته بإحضار أخيه بنيامين ذكر - هنا - مفاوضاتهم أباهم لإقناع وإنجاز المطلوب وإبدائه مخاوفه

عليه كمخاوفه القديمة التي أظهرها عندما تأمروا على أخذ يوسف - عليه السلام - إلى الصحراء بقصد الرتع واللعب¹.

لما فتح الأخوة الأوعية التي وضعوا فيها الميرة ثمن الطعام في متاعهم قالوا ما نبغي؟ أي ماذا نبغي؟ أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟²

ويجوز أن يكون الاستفهام الإنكاري بتنزيل المخاطب منزلة من يتطلب منهم تحصيل بغية، ينكرون أن تكون لهم بغية أخرى أي ماذا نطلب بعد هذا؟ ويجوز كون (ما) النافية والمعنى الواحد لأن الاستفهام الإنكاري في معنى النفي³، وقد أرادوا بذلك استئصال أبيهم عن رأيه.

ومن أجل إقناعه بعودتهم إلى مصر مصطحبين أخاهم بنيامين حشدوا الحجج وكل الأسباب والبواعث المادية واستغلوا حاجتهم الشديدة لتطيب نفس أبيهم فيوافقهم وجاءت هذه الحجج مجزأة متتالية لتخدم نتيجة واحدة هي إقناع والدهم وحجتهم الأولى أن يأتون بالميرة والطعام دون ثمن إعادة الأهل وضموا إلى ذلك التعهد بحفظ ورعاية أخيهم الحجة الثانية وذكروا حفظ الأخ مبالغة في الحض على إرساله⁴، والحجة الثالثة أن يزدادوا باصطحاب أخيهم حمل بغير لأن يوسف - عليه السلام - لا يعطي الممتار أكثر من حمل بغير من الطعام فإذا كان أخوهم معهم أعطاهم حمل بغير في عداد الإخوة وهذه الجمل مرتبة ترتيباً بدعيّاً لأن بعضها متولد عن بعض⁵.

لقد شكلوا إخوة يوسف - عليه السلام - عدة حجج تخدم نتيجة واحدة وهي إقناع أبيهم باصطحاب أخيهم بنيامين بطلب من عزيز مصر إحضاره فقد أقنع أبيهم يعقوب - عليه السلام - بإرسال بنيامين معهم.

1 - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ج 13 ص 19.

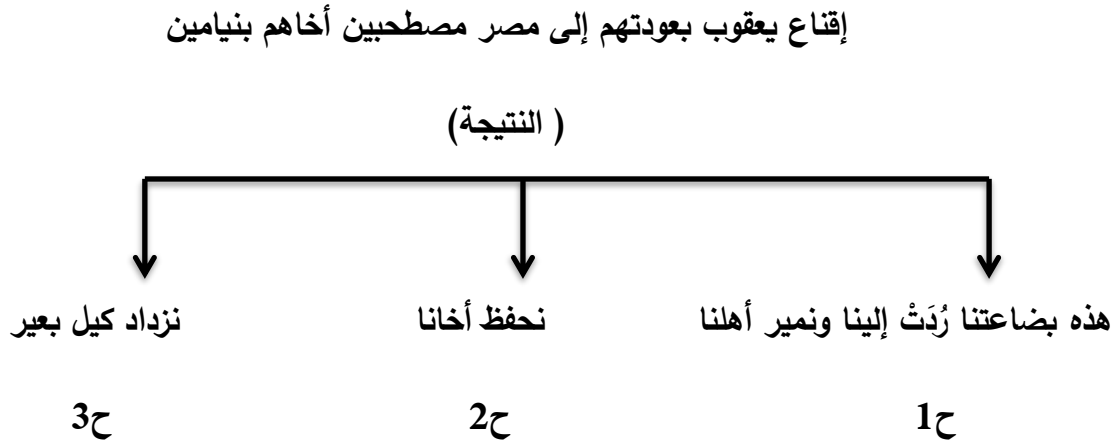
2 - الصابوني، صفوة التفسير ص 54.

3 - ابن عاشور، التحرير والتنوير ص 13 ص 17.

4 - الصابوني، صفوة التفسير ص 54.

5 - ابن عاشور، التحرير والتنوير ص 18.

والمخطط التالي يمثل ذلك:



4-2- تقنيات الحجاج وآلياته اللغوية:

يقصد بها الأدوات التي تساعد على عقد العلاقات بين الحجج والنتائج أي أنها تعين المتكلم على تقديم حججه في صورة تناسب المقام أو السياق الذي هو فيه وتصله غرضه من طرح الخطاب على ذلك المتلقي¹.

4-2-1- الروابط الحجاجية:

هي المؤشر الأساسي والبارز وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر في بنية اللغة نفسها وتحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى بحيث يمكن أن نذكر منها ما يلي: (بل، لكن، إذن، لاسيما، حتى، لأن، بما أن، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي...)².

- إذن: تتمثل وظيفته في سوق النتيجة أو إدراجها حيث تعمل حجاجيا بالربط بين الحجة والنتيجة³، ورد في قوله تعالى: « قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ » سورة يوسف الآية 14، ونرى أن الروابط الحجاجية (إذا) يربط بين حجة ونتيجة وهي

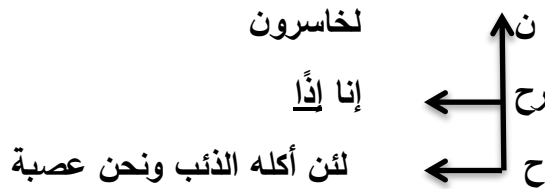
¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص 477.

² - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2006 ص 55.

³ - أبو بكلا العزاوي، اللغة او الحجاج ص 30.

تأكيد الاخوة على أن خوف والدهم على يوسف غير مبرر لأنهم عصبية قوية وإذا أكله الذئب فهم خاسرون.

ويمكن تمثيلها كما يلي:



- الواو: يقوم بوصل الحجج بعضها ببعض مع ترتيبها حجاجيا حيث كل حجة تزيد في قوة الحجة الأخرى.

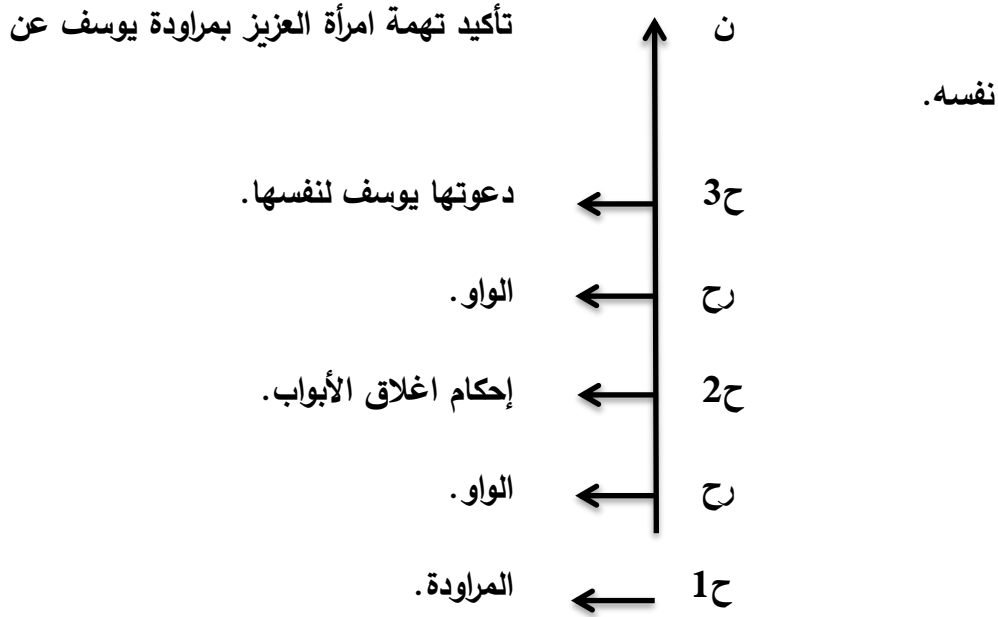
في قوله تعالى: « وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » سورة يوسف الآية 06، وهنا قام الرابط (الواو) قام بالوصل بين حجة وحجة أخرى وقام بترتيبها لتقوية الحجة وتدعيمها بطريقة متسقة ومترابطة.

ويمكن تمثيلها كما يلي:



وأیضا قوله تعالى: « وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » سورة يوسف الآية 23.

• لقد جمع الرابط الحجاجي (الواو) بين ثلاث حجج يمكن تمثيلها كما يلي:



وأيضاً قوله تعالى: « قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ » سورة يوسف الآية 51.

وهناك اعترفت امرأة العزيز بأنها هي من راودت يوسف عن نفسه وليس هو فقد امتنع ورفض. ويمكن تمثيلها بهذا الشكل:

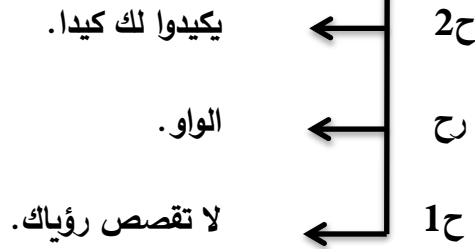


- الفاء: تعتبر احدى الروابط الحجاجية والتي لها نفس الوظيفة التي يؤديها (الواو)

قال تعالى: « قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ » سورة يوسف الآية 05.

- علم يعقوب عليه السلام أن إخوة يوسف كانوا يغارون منه لفرط فضله عليهم خلقا وخلقاً وعلم أن تلك الرؤيا تؤذن برفعة ينالها يوسف فخشي إن قصها يوسف عليهم أن تشتد بهم الغيرة إلى حد الحسد¹.

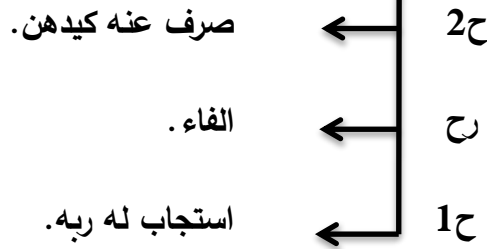
نجاة يوسف من حسد وكيد اخوته.



قال تعالى: « فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » سورة يوسف الآية 34.

هذه اشارة إلى أن الله عز وجل قد جعل اجابة دعوة يوسف عليه السلام.

تثبيت الله تعالى النبي يوسف على العفة.



وهذه الآيات أيضا تضمنت حججا مترابطة بواسطة (الفاء).

قال تعالى: « اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنْزِلْنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ » سورة يوسف الآية 93.

وقاله تعالى: « وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » سورة يوسف الآية 84.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير ص 213.

وقاله تعالى: « فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ
إِنِّي أَغْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » سورة يوسف الآية 96.

- لكن: تعد من أهم روابط التعارض الحجاجي ولقد لقيت اهتماما كبيرا خاصة لدى الباحثين الغربيين
مثل: "انسكومبر" و"ديكرو".

وهذه نماذج من سورة يوسف:

قال تعالى: « وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » سورة يوسف الآية 21.
وفي هذه الآية نجد أن (لكن) هي " لكن الحجاجية " فهناك تعارض حجاجي بين ما
يتقدم الرابط وما يتلوه، والقسم (والله غالب على أمره) حجة مفهومها عام وهي ابطال كيد
اخوة يوسف، و (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) تدل على جهل الناس بقدرة الله عز وجل.
ويمكن توضيحها بواسطة هذا الشكل:



ح2 ⇐ الحجة الثانية المضادة

حيث: ح1 ⇐ الحجة الاولى

للاولى.

لا _ ن ⇐ النتيجة المضادة للنتيجة ن.

ن ⇐ نتيجة الحجة الأولى ح1

⇐ رمز يشير إلى العلاقة



لكن ⇐ الرابط الحجاجي

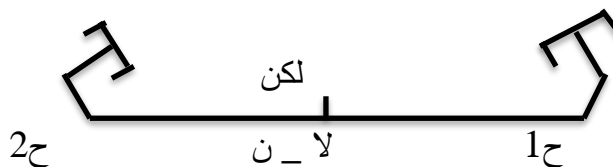
بين الحجة أو الحجج أو النتيجة.

الحجاجية

لا _ ن (الناس لا يدركون حكمة

ن (لا يكون الا الذي أراده الله)

(الله)



أكثرهم لا يعلمون.

والله غالب على أمره

قال تعالى: « وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ » سورة يوسف الآية 38.

وهنا يؤكد يوسف عليه السلام أن هجر طريق الكفر والشرك واتبع ملة آبائه الأنبياء والمرسلين (ابراهيم، اسحاق، يعقوب).

ويمكن توضيحها في هذا الشكل:

ن (من فضل الله على أنبيائه وعباده نعمة التوحيد) لا _ ن (الكفر بنعم الله والشرك به)

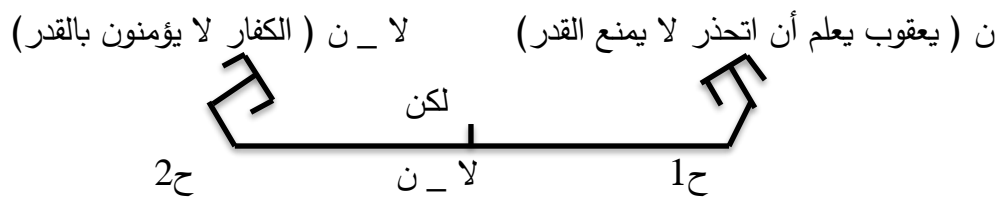


ما كان لنا أن نشرك بالله أكثرهم لا يعلمون.

قال تعالى: « وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » سورة يوسف الآية 68.

وهناك ثناء الله سبحانه وتعالى على يعقوب بالعلم الواسع وأكثر الناس لا يعلمون بما خص الله به أنبيائه ورسله من العلوم التي تعود عليهم بالنفع.

وهذا الشكل يوضح ذلك:



إنه لدو علم علمناه لكن أكثر الناس لا يعلمون.

- بل: تكمن حجاجية (بل) في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم، ما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت¹.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص 514.

قال تعالى: « وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقُ وَتَرْكُنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18) »
الآيات 16 - 17 - 18 من سورة يوسف.

وهنا يقدم هذا الرابط (بل) علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين:

- علاقة بين الحجة (اتيان إخوة يوسف بقميص ملطخ بالدم وهم يبكون) والنتيجة المراد وهي (إقناع أبيهم بأن الذئب قد أكل يوسف) مع أنهم أحسو بضعف حجتهم حينما قالوا:

(ولو كنا صادقين) أي ولو كنا عندك من أهل الثقة والصدق ما صدقتنا ¹.

وعلاقة حجاجية ثانية تسير في اتجاه النتيجة المضادة أي بين الحجة القوة التي تأتي بعد (بل)

وهي (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) فالرابط (بل) حرف إضراب أفاد إبطال دعوهم بأن الذئب أكله فقد صرح لهم بكذبهم بحجة التسويل وهو التسهيل وتزيين النفس ما تحرص على حصوله ².

وهذا هو الشكل:

ن (يوسف أكله الذئب) لا _ ن (براءة الذئب من دم يوسف)



سولت لكم أمرا.

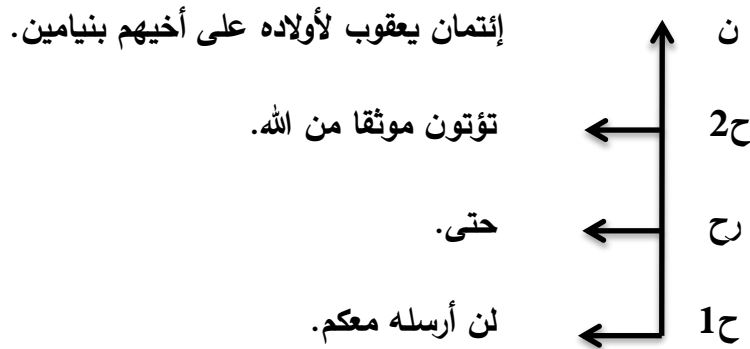
وجاءوا على قميصه بدم كذب

¹ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ص 227.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير ص 238.

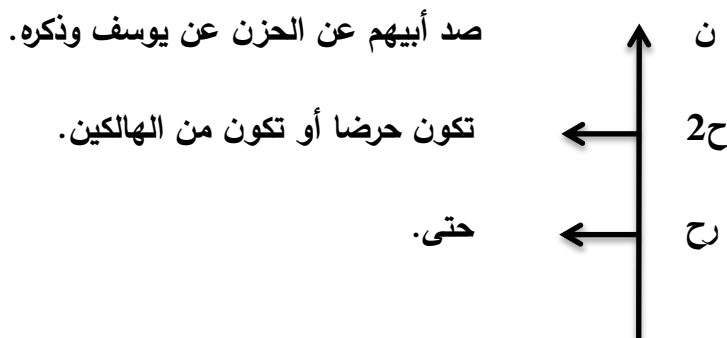
- **حتى:** من أدوات السلم الحجاجي نظرا لدورها في ترتيب منزلته العناصر.
ومثال ذلك قال تعالى: « قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ » الآية 66 من سورة يوسف.
أي قال لهم أبوهم يعقوب: لن أرسل معكم بنيامين إلى مصر حتى تعطوني عهدًا مؤكدًا وتحلفوا بالله لتردنه علي¹.

وتمثيله كما يلي:



قال تعالى: « قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ » سورة يوسف الآية 85.

عندما شاهد أولاد يعقوب ما حدث لأبيهم رقوا له وقالوا له على سبيل الرفق به والشفقة عليه، والله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون مريضا ضعيف القوة أو تموت إن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك².



¹ - الصابوني، صفوة التفاسير ص 55.

² - وهبة الزحيلي، التفسير المنير ص 46.

ح1 ← تفتؤا تذكر يوسف.

- أدوات الشرط: تتألف الجملة الشرطية من ثلاثة أجزاء: أداة الشرط + جملة الشرط + جملة جواب الشرط.

- أما: قال تعالى: « يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ » سورة يوسف الآية 41.

وتكون كما يلي: أما ← فاء الجزم ← النتيجة

1- أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا.

نتيجة

2- وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه.

نتيجة

- لولا: تستعمل في الحجاج من باب الاحتياط والتحفظ على نتيجة حجاجية.

قال تعالى: « وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ » سورة يوسف الآية 24.

فيوسف عليه السلام لم يرتكب المعصية قط ولو حفظ الله ورعايته لهم بها.

4-2-2-العوامل الحجاجية:

- العوامل (لا...إلا / ما...إلا / إن...إلا):

وهي من أدوات السلم الحجاجي وتفيد القصر.

قال تعالى: « قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ » سورة يوسف الآية 37.

أراد يوسف أن يدعوها إلى التوحيد ويرشدها إلى الدين القويم قبل أن يسعفها إلى ما سألاه عنه كما هي طريقة الأنبياء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون بمعجزة له من إخبار بالغيب ليدلها على صدقه في الدعوة والتعبير¹.

وهناك جاء العامل الحجاجي (لا...إلا) لتدعيم حجته وتقويتها.

قال تعالى: « مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » سورة يوسف الآية 40.

أداة النفي ← نتيجة ← أداة الاستثناء ← تدعيم وحجة.

- إنما: يرى أئمة النحو أن " إنما " تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه².
قال تعالى: « قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » سورة يوسف الآية 86.

وهنا أثبت (إنما) أن شكوى يعقوب وحزنه ودعائه كان الله وحده عز وجل لا لأحد من خلقه.

- التوكيد: هو ركن من أركان البناء اللغوي والبياني في اللغة العربية.

قال تعالى: « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » سورة يوسف الآية 02.

لتأكيد على أن القرآن الكريم كتاب منزل من الله تعالى.

قال تعالى: « وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ » سورة يوسف الآية 03.

¹ - البيضاوي، تفسير البيضاوي ص 264.

² - السكاكي، مفتاح العلوم ص 291.

وهنا أراد الله تعالى أن يخبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقصة يوسف عليه السلام والتي لم يكن يعرفها وذلك من أجل دفع أي شك قبل نزول القرآن عليه، وجاء ذلك باستعمال " لام التوكيد".

قال تعالى: « إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » سورة يوسف الآية 08.

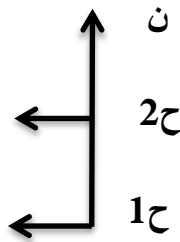
وهنا أكد إخوة يوسف قولهم بمؤكد واحد وهو (اللام) في قولهم (ليوسف) ثم بمؤكدين وهما (ان واللام) في قولهم (ان أبانا لفي ضلال مبين).

ويمكن تمثيلها كما يلي:

الاقتناع بضرورة التخلص من يوسف.

ان أبانا لفي ضلال مبين.

ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا.



ومن الأمثلة أيضا:

قال تعالى: « أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَلْخَاسِرُونَ (14) » سورة يوسف الآيات 11-12-13-14.

- الأفعال الاخبارية:

قال تعالى: «الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْقِصَصَ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3) » سورة يوسف الآيات 1-2-3.

الأسلوب الخبري هنا جاء ليؤكد على معجزة الله تعالى على نبيه وحجاجية أفعال الاخبار هنا تكمن في أن انزال القرآن الكريم هو من عند الله تعالى على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتأكيده ذلك.

قال تعالى: « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » سورة يوسف الآية 111.

شكلت الآية الأخيرة من سورة يوسف جملاً خبرية ذات بناء حجاجي محكم يؤكد ما تهدف إليه قصص القرآن الكريم بشكل عام.

- الأفعال الانشائية:

ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى: « يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ مُتَقَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » سورة يوسف الآية 39.

نفى بذلك يوسف عليه السلام تعدد الآلهة وأثبت وحدانية الله سبحانه وتعالى بواسطة الاستفهام الحجاجي.

قال تعالى: « يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » سورة يوسف الآية 87.

تضمن أفعال الأمر في الآية والتي أصدرها يعقوب عليه السلام حجة تفضي إلى نتيجة ضمنية وهي تأكيد يعقوب عليه السلام من حياة ابنه يوسف عليه السلام لأجل ذلك أمر أبنائه إلى الذهاب لمصر والبحث عن يوسف وأخيه.

وفعل الأمر " لا تيأسوا " هو فعل لغوي متمثل في النهي وهو نصح يعقوب لأبنائه واقناعهم بعدم قطع الأمل من الله تعالى.

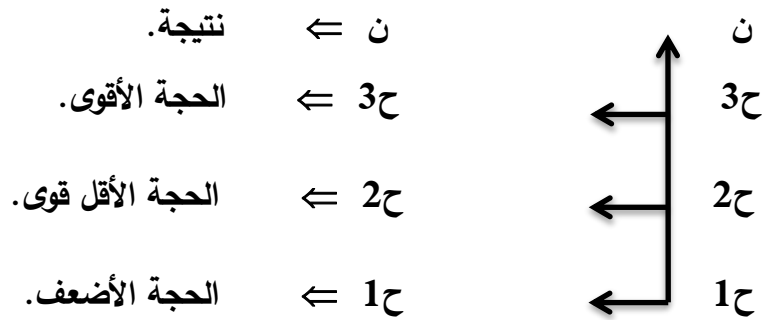
قال تعالى: « وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » سورة يوسف الآية 62.

4-2-3- مفهوم السلم الحجاجي:

عند طه عبد الرحمان: هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية¹. يقول ديكر: إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (لحجج) نسميه سلما حجاجيًا، مما يعني بأن الحجج حينما تتفاوت ضمن نفس الحقل الحجاجي تكون سلما حجاجيًا².

فالحجج الأضعف تقع في أسفل السلم بالقرب من النتيجة.

وتكون بهذا الشكل:



¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 277.

² - عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ص 101.

- الصيغ الصرفية:

- أ) اسم الفاعل: يعتبر اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجة ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريده لتبني عليه النتيجة التي يرومها¹.
- فهو اسم مشتق للدلالة على فاعل الحدث أو من قام بالحدث مع التجديد والحدث في معناه ولا يؤخذ اسم الفاعل إلا من الفعل المبني للفاعل².

- الفعل الثلاثي الصحيح:

- مثال 1: قال تعالى: « ... يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين » سورة يوسف الآية 10.
- مثال 2: قال تعالى: «... وكانوا فيه من الزاهدين » سورة يوسف الآية 20.
- مثال 3 قال تعالى: « ... إنك كنت من الخاطئين » سورة يوسف الآية 29.
- مثال 4 قال تعالى: « ... أو تكون من الهالكين » سورة يوسف الآية 85.

- الثلاثي المعتل:

- مثال 1 قال تعالى: « وقال للذي ظن أنه ناج منهما » سورة يوسف الآية 42.
- مثال 2 قال تعالى: « أفأمنوا أن تأتيهم غاشية » سورة يوسف الآية 107.

- الثلاثي المزيد بحرف واحد:

- مثال: قال تعالى: «... فعرفهم وهم له منكرون » سورة يوسف الآية 58.

- الثلاثي المزيد بحرفين:

- مثال 1: قال تعالى: «... يا صاحبي السجن أَرَبَابٌ متفرقون » سورة يوسف الآية 39.
- مثال 2 قال تعالى: « ... إن الله يجزي المتصدقين » سورة يوسف الآية 88.
- مثال 3 قال تعالى: « ... وعليه فليتكول المتوكلون » سورة يوسف الآية 67.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص488.

² - عبد الهادي الفضيلي، مختصر الصرف، دار القلم بيروت لبنان، ط، د ت، ص 57 - 58.

(ب) اسم المفعول: يصنف على أنه من الآليات اللغوية وهو الاسم المشتق للدلالة على من وقع عليه الحدث مع التجديد والحدوث في معناه ولا يأخذ اسم المفعول إلا من الفعل المتعدي المبني للمفعول¹.

مثال 1: قال تعالى: «... والله المستعان على ما تصفون» سورة يوسف الآية 18.

مثال 2: قال تعالى: «... إنه من عبادنا المخلصين» سورة يوسف الآية 24.

مثال 3: قال تعالى: «... وجئنا ببضاعة مزجاة» سورة يوسف الآية 88.

(ج) صيغ المبالغة: تعد الأوصاف المشتقة من الصيغ التي تمكن من بناء السلم الحجاجي، من بينها الآليات الصرفية التي تتدرج تحتها صيغ المبالغة².

❖ فَعَال: في قوله تعالى: «... يلتقطه بعض السَّارة إن كنتم فاعلين» سورة يوسف الآية 10.

قال تعالى: «... أم الله الواحد القهار» سورة يوسف الآية 39.

❖ فَعِيل: في قوله تعالى: «... إنه هو السميع العليم» سورة يوسف الآية 34.

قال تعالى: «... وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم» سورة يوسف الآية 84.

❖ فَعُول: في قوله تعالى: «... إنه هو الغفور الرحيم» سورة يوسف الآية 98.

❖ فَعَلَ: في قوله تعالى: «... وجاءوا على قميصه بدم كذب» سورة يوسف الآية 18.

¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 277.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص 529.

الخاتمة

من خلال دراستنا لهذا البحث الموسوم (بلاغة الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف نموذجا) توصلنا إلى مجموعة من النتائج:

• في الفصل النظري نجد:

- الحجاج عنصر مهم في عملية الإقناع في القرآن الكريم.
- ارتباط الحجاج في التراث العربي بالجدل.
- البلاغة عملية تواصلية بين المتكلم والسامع.
- الحجاج أربع أنواع: حجاج منطقي ولغوي ومحادثي وقانوني.
- الحجاج المنطقي هو أول وأسبق أنواع الحجاج ظهورا.
- تنوع الآليات والتقنيات الحجاجية بين ما هو بلاغي وما هو لغوي.
- يمثل الجدل والخطابة القوة الكلامية لإنتاج الحجاج.
- الخطاب القرآني متميز في مفهومه عن سائر الخطابات البشرية.
- تتعدد أشكال الحجاج حسب طبيعة الحوار والحجاجي وبناء الحجاج.
- الخطاب الحجاجي يستمد خصائصه من الحقل التواصلية الذي يتحقق فيه.

• وفي الفصل التطبيقي نجد:

- أن القرآن الكريم اتخذ من القصص سبيلا وطريقا للإقناع والتأثير فهو يسوق الدليل على شكل قصة فكانت أحد الأساليب التي حملها القرآن ليحاج بها الناس.
- تمتاز القصة القرآنية بالأسلوب المقنع وهذا يعتبر جوهر الحجاج.
- القصص القرآني وسيلة لترسيخ التوحيد في نفوس البشر.
- تعددت واختلفت الروابط والعوامل الحجاجية في السورة فهي تلعب دور فعال في انسجام الخطاب الحجاجي.
- القصة التاريخية في القرآن الكريم تعتبر حجة لا تقبل الطعن.
- اعتمد الخطاب القرآني في السورة على آليات من أجل بيان المقاصد وإقناع المخاطب ومنها الآليات البلاغية كالاستعارة والكناية ولها قدرة كبيرة على الإقناع.

- لعب السلم الحجاجي دورًا مهمًا في تماسك القصة حجاجيًا فهو ينقل المتلقي من حجة إلى حجة أقوى منها.
- ظهور الحجاج في سورة يوسف عند دفاع يوسف عليه السلام عن الدعوة إلى الله وذلك في حوار مع السجينين من أجل الوصول إلى اقناعهما بصدق دعوته وهي الايمان بالله وحده.

قائمة

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم برواية ورش.
- 2- ابن منظر، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1993، ج2.
- 3- الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح عبد المجيد تركي، دار الغرب الاسلامي بيروت ط3، 2001.
- 4- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د ط، 1998.
- 5- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، د ط 1399 هـ - 1979م، ج2 / ج5.
- 6- محفوظ علي، فن الخطابة واعداد الخطيب، دار النصر، شبرا مصر، د ط، 1984.
- 7- عبده شلبي عبد الجليل، الخطابة واعداد الخطيب، دار الشروق القاهرة، ط3، 1987.
- 8- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي ، بيروت، ط 2، 2007.
- 9- التاهنوي، محمد بن علي، تح رفيق العجم علي دحروج، موسوعة كشاف اصطلاحا الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ط1، 1996، ج1.
- 10- الفراهيدي، معجم العين، مرتبا على حروف المعجم، تح عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية بيروت ط1، 2003.
- 11- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، بيروت ط2004، ج1.
- 12- السبعاوي، طه عبد الله محمد، أساليب الاقناع في المنظور الاسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د س.
- 13- حمدان سليم، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة 2008 - 2009.

- 14- عطا الله محمد، الاقناع في الخطاب الحجاجي (مقارنة لوسائل الاقناع في عيون البصائر)، دار الذهب الأسود حاسي مسعود ورقلة، ط1، 2013.
- 15- حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج4.
- 16- محمد سالم محم طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتعددة، ط1، 2008.
- 17- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، د ط، د ت.
- 18- العمري محمد، في بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار أفريقيا الشرق المغرب، ط2، 2002.
- 19- بن خراف ابتسام، تلقي النص البلاغي عند محمد العمري مقارنة وصفية تحليلية، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءات ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد 2013، 5.
- 20- عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
- 21- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2010.
- 22- محمد علي نوح قوجبل، أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس ليبيا، ط2.
- 23- أحمد ورصن منور، قموس المنور (أندونيسيا 1997)، ط14.
- 24- محمد بن محمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، ط2، 1992.
- 25- ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتتوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج12، 1976.
- 26- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الجيل، بيروت، المجلد 2، د ط، د ت.

- 27- أحمد نوفل، سورة يوسف، دراسة تحليلية، دار الفرقان، ط1 (1409 هـ / 1989 م).
- 28- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، شرح وتعليق وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجبل، بيروت، ط1، 1991.
- 29- حسن المودن، حجاجية المجاز والاستعارة، مقال ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، اعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ج3، الحجاج وحوار التخصصات، ط1، 2010، ص 156.
- 30- السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2008.
- 31- الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجين عناصر استقصاء نظري، مقال ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاتهن دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، اعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ج3، الحجاج وحوار التخصصات، ط1، 2010.
- 32- القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ت.
- 33- عمر محمد عمر باحاذق، الدلالة الاعجازية في رحاب سورة يوسف عليه السلام، دار المأمون للتراث دمشق، ط1، 1997.
- 34- فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981، ج18.
- 35- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الجزء 12، 1976، ج13.
- 36- الصابوني، صفوة التفاسير، دار الجيل بيروت، م2، د ط، د ت.
- 37- القاضي البيضاوي، تفسير البيضاوي، مكتبة الحقيقة، اسطنبول تركيا، 1991، ج3.

- 38- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1998، ج1، 13.
- 39- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة القاهرة، د ت.
- 40- السيوطي، المزهري في علوم اللغة، شرح وضبط وتصحيح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات الكتبة العصرية، صيدا، ج1، 1987.
- 41- البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، ط1، 1999، ج1.
- 42- فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981، ج18.
- 43- عمر أوكان، اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، المغرب، 2001.
- 44- محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية غربية، منشورات دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب 207.
- 45- عبد العزيز بن صالح العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، دراسة بلاغية تحليلية، المجلس الوطني للإعلام، الامارات، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي ط1، 2007.
- 46- أبو هلال العسكري، الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1989.
- 47- الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في توجيه التأويل، تحقيق وتعليق، محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، د ت، ج2.
- 48- نخبة من علماء التفسير وعلماء القرآن، التفسير الموضوعي لسورة القرآن الكريم، اشراف مصطفى مسلم، جامعة شارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1، م3، 2010.
- 49- صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى لقد كان في يوسف، ج4.
- 50- محمود شلبي، حياة يوسف عليه السلام، دار الجيل بيروت لبنان، د س، د ط.

- 51- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت د ط، 1969، ج 5.
- 52- الجاحظ، الحيوان، ج1.
- 53- حافظ اسماعيلي علوي ومحمد أسيداه، اللسانيات والحجاج والمغالط، نحو مقارنة لسانية وظيفية ضمن (الحجاج مفهومه ومجالاته) ج3.
- 54- عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف الحجاج، الخطابة الجديدة لبيрман وتيتيكا.
- 55- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، الطبعة 1، 2005.
- 56- صابر الحباشية، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، دمشق سوريا، 2008.
- 57- حسن بوبلطة، مذكرة ماجستير، الحجاج في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، جامعة باتنة 2009 - 2010.
- 58- الطاهر حجاز وعبد القادر هني وآخرون، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17، 2006.
- 59- مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة وآدابها، جامعة الجزائر، ع 17، جانفي 2006.
- 60- سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، عالم الكتب الحديث، تونس، 2009.
- 61- خديجة بوخشة، حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، أطروحة في اللسانيات التداولية، جامعة وهران، 2013/2014.
- 62- فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر، محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011.
- 63- بوصلاح فايزة، الاقناع في قصة ابراهيم عليه السلام، مقارنة تداولية جامعة وهران 2009 - 2010.

- 64- محمد أبو زهرة، القرآن المعجزة الكبرى، بيروت، د ط، د ت، والسيوطي، البرهان في علوم القرآن والانتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة، مجمع الملك لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت.
- 65- عبد الستار فتح الله سعيد، نظرات في الاستدلال القرآني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2007.
- 66- ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق وضبط عبد الرحمن الوكيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، د ط.
- 67- لمهابة محفوظ، الحجاج دراسة مصطلحية، مجلة مجمع اللغة.
- 68- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2006.
- 69- عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013.
- 70- عبد الهادي الفضيلي، مختصر الصرف، دار القلم، بيروت لبنان، د ط، د ت.



فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

أ..... مقدمة:

الفصل الأول

الحجاج دراسة نظرية

5..... تمهيد

5..... 1-المفهوم اللغوي لمصطلح البلاغة:

7..... 2-المفهوم الاصطلاحي لمصطلح البلاغة:

8..... 3-تعريف الحجاج:

8..... 3-1-لغة:

9..... 3-2-اصطلاحًا قديما:

11..... 3-3-اصطلاحًا حديثًا:

12..... 4-خصائص النص الحجاجي (سمات):

13..... 5-أنواع الحجاج والحجة:

14..... 5-1-1-الحجاج المنطقي:

15..... 5-1-2-الحجاج اللغوي:

17..... 5-1-3-الحجاج القانوني:

18..... 5-1-4-الحجاج المحادثي:

19..... 5-2-أنواع الحجج:

20..... 6-مسلمات الحجاج:

21..... 7-تقنيات الحجاج:

22..... 7-1- تقنيات الوصل: (procédés de liaison)

22..... 7-1-1-طريقة المحاجة شبه منطقية:

23..... 7-1-2-الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

24..... 7-1-2-الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

25..... 7-2-تقنيات الفصل: (Dissociation)

25.....	7-2-1-الأدوات اللغوية:
27.....	7-2-2-الآليات البلاغية:
28.....	7-2-3-الآليات الشبه المنطقية:
28.....	8-طريقة القرآن الكريم في الحجاج:
30.....	8-1-الأدلة الكونية:
30.....	8-2-الأدلة النفسية:
30.....	8-3-الأدلة العقلية:
31.....	9-أهمية الحجاج :
32.....	10-دلالة الحجاج في القرآن الكريم:
36.....	11-الحجاج بين الجدل والخطابة:
36.....	11-1-تعريف الجدل:
36.....	11-2-تعريف الخطابة:
37.....	11-3-علاقة الجدل والخطابة بالحجاج:
38.....	11-4-علاقة الحجاج بالإقناع:
40.....	12-الحجاج عند العرب :
40.....	12-1-قديمًا:
42.....	12-2-حديثًا:
42.....	12-2-1-الحجاج عند محمد العمري:
43.....	12-2-2-الحجاج عند طه عبد الرحمن:
43.....	12-2-3-الحجاج عند أبي بكر الغزاوي:
44.....	13-الحجاج في الثقافة العربية:

الفصل الثاني

تقنيات الحجاج في سورة يوسف

47.....	تمهيد
48.....	1-تعريف السورة:
48.....	2-تعريف يوسف عليه السلام :

3-	التعريف بسورة يوسف:	48
4-	تقنيات الحجاج وآلياته البلاغية واللغوية في سورة يوسف عليه السلام:	51
4-1-	تقنيات الحجاج وآلياته البلاغية:	55
4-1-1-	الكتابة والمجاز المرسل:	55
4-1-2-	التشبيه:	58
4-1-3-	الاستعارة:	61
4-1-4-	البديع:	67
4-1-5-	التفريع " تقسيم الكلّ إلى أجزاء ":	70
4-2-	تقنيات الحجاج وآلياته اللغوية:	74
4-2-1-	الروابط الحجاجية:	74
4-2-2-	العوامل الحجاجية:	82
4-2-3-	مفهوم السلم الحجاجي:	86
	الخاتمة	89
	قائمة	92
	المصادر والمراجع	92

ملخص:

يعتبر الحجاج نظرية واسعة الدراسة قديما وحديثا وهذا البحث يتناول بلاغة الحجاج في القرآن الكريم وقد سعينا من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن الحجاج في القصة القرآنية والتي تعمل على إقناع المتلقي والتأثير فيه بواسطة الخطاب القرآني الموجه للتأثير فيه بواسطة الخطاب القرآني الموجه للتأثير في آراء المخاطبين وقد اتخذنا من سورة يوسف أنموذجا لدراستنا فتنوعت تقنيات الحجاج وآلياته البلاغية واللغوية، وقد قسمنا بحثنا إلى فصلين، فصل نظري تناولنا فيه الحجاج قديما وحديثا وأهم أنواعه ومسلماته... وفصل تطبيقي تناولنا فيه تقنيات الحجاج في سورة يوسف.

الكلمات المفتاحية: الحجاج – الجدل – الإقناع – تقنيات الحجاج البلاغية واللغوية.

Abstract

The argumentation is considered a widely studied theory in the past and present. And this research deals with the eloquence of argumentation in the holy Quran. And through this study, we have aimed to detect the argumenation in the Quranic story that works to convince the recipient and stimulate him through the Queanic discourse which is directed to influence the adressés opinions. And we have taken surat “ Yusuf” as a model for our study, so the technique of argumentation and its rhétoriques and linguistico mécanismes are varied.

Our research is divided into two chapters: one is theoretical, in which we tackled the argumentation in the past and present, ans its most important types and postulates... and the other one is a practical chapter in which we dealt with technique of argumentation in surat Yusuf.

Key words: argumentation – defate – conviction / persuasion – linguistic and rhetorical – techniques of argumentation.